شرح دعاء الافتتاح

سماحة الشيخ فوزي آل سيف

الفهرس

1. تأكيد القرآن والمعصومين على الدعاء 3
2. شرائط استجابة الدعاء 6
3. غايات الدعاء وفوائده 9
4. بين الاسناد والمصاديق 12
5. الحمد والثناء للباري عز وجل .. أساس المعرفة..... 15
6. إضاءات من دعاء الافتتاح 18
7. إضاءات من دعاء الافتتاح 21
8. إضاءات من دعاء الافتتاح 24
9. النعم الالهية .. صراط للهداية..... 27
10. التوبة .. طريق للفلاح..... 30
11. الشكر للنعم وسيلة للكمال 33
12. التقدير الالهي بين الجهل والرضا 36
13. مظاهر الحياة وقفة للتأمل 39
14. وقفة مع التسامح والمغفرة الالهية..... 42
15. سهولة اللجوء إلى الله القادر والمتعال 45
16. السنن الكونية .. دليل القدرة الالهية 48
17. النبي وأهل البيت .. الصراط القويم للدين..... 51
18. النبي (ص) صفات الرسول ونهج البلاغة..... 55
19. أهل البيت جزء لا يتجزأ من الرسالة..... 58
20. معرفة الائمة (ع) سراج على درب الهداية 60
21. الإمام الحجة الغائب حتمية قائمة..... 62
22. النجاة بين محور الذات ومحور الغير 65
23. الدولة الكريمة .. الحق المنشود والإمام المنتظر 68

1. تأكيد القرآن والمعصومين على الدعاء

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

هذه الاحاديث ترتبط بدعاء الافتتاح والتأمل فيه، واستجلاء العبر، والدروس منه. وحيث أن الدعاء على وجه العموم - وهذا الدعاء على وجه الخصوص- يمثل مدرسة معرفية في أكثر من جانب - كما سيأتي الحديث عنه - لذا لابد قبل البدء بالحديث في ذات الدعاء وفي معانيه أن نقدم ببعض المقدمات:

منها تأكيد القرآن الكريم والمعصومين عليهم السلام على الدعاء باعتباره مخ العبادة وسلاح المؤمن والطريق الأقرب والأقصر إلى الله سبحانه وتعالى، فقد وجدنا أن التركيز على الدعاء والتوجيه إليه أخذ حيزا كبيرا من التوجيهات الدينية.

ففي القرآن الكريم يخاطب ربنا سبحانه وتعالى الخلائق: (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ). أي أنّ الله مستغن عنكم لا يحتاج اليكم بل انتم في موقع الحاجة، وأنّ الذي يجعل الله سبحانه وتعالى يلتفت اليكم، ويرعاكم، ويحفظكم، ويرزقكم، هو توجهكم اليه ودعاءكم اياه.

وعندما يتساءل المسلمون من نبيهم صل الله عليه وآله عن الله تعالى: هل أن الله قريب حتى يناجى ام انه بعيد حتى ينادى؟ تجيب الآية المباركة (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).

وهكذا يرتب الله استجابته للناس على اثر دعاؤهم اياه، (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) فاذا قمتم بالدعاء فإنه يقتضي الاجابة من الله عز وجل.

بالنسبة للسنة الشريفة سواء من لسان النبي ص أو من أئمة الهدى ع فإننا نجد في ذلك شيء واسعا جدا في أصل التأكيد على الدعاء، وفي موجبات استجابة الدعاء، وفي آدابه وسننه. ولا يختص بذلك فقط، فتوجد أيضا المعاني الضخمة والمفصلة لقضايا العقيدة، وحاجات الانسان، وتطلعاته في مستقبل حياته.

كل هذه الأمور تحتويها تلك الادعية وتلك النصوص، ففي الخبر المروي عن رسول الله (يدخل الجنة رجلان كانا يعملان عملا واحدا فيرى أحدهما صاحبه فوقه، فيقول: يا رب بما أعطيته وكان عملنا واحدا؟ فيقول الله تبارك وتعالى: سألني ولم تسألني) ... يظهر من

الروايات الواردة في صفة الجنة أن الناس هناك يطلعون في الجملة على منازل غيرهم ممن هم أعلى منهم، فيقول يارب: بما اعطيته وكان عملنا واحدا؟ فيقول تعالى لهذا السائل: "سألني ولم تسألني" كانا يعملان عملا واحدا ولكن هذا الطرف كان أكثر طموحا في السؤال، كان يسال الله اعلى الدرجات واقصى المراتب، فبلغه الله اياها، بينما قعد هذا عن سؤال ربه فكان نصيبه ذلك المكان المتواضع. فإذا مراتب الجنة والتعالي فيها بدرجاتها يرتبط بمقدار سؤال الانسان لربه .

في وصية لأمير المؤمنين لابنه الحسن فيما يرتبط بالدعاء "يابني اعلم ان الذي بيديه خزائن ملكوت الدنيا والاخرة قد اذن لدعائك وتكفل لاجابتك عندما قال (فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) وأيضا قال (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) فهوقد تكفل للاجابة، وامرك أن تسأله ليعطيك، وهو رحيم كريم لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه، ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما اذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب خزائنه "

ومن أصدق من الله حديثا؟! ومن أصدق من الله قيلا وعدة؟!

- " وامرك أن تسأله ليعطيك" ما أمر الله بالسؤال حتى يمنع العطية ولكن جعل السؤال طريقا لزيادة العطاء وأمرك أن تسأله ليعطيك.
- "وهو رحيم كريم لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه" حتى الشيطان لا يستطيع ان يحجب الانسان عن ربه الا اذا جعل الانسان ذلك الشيطان حاجبا وحاجزا، فلا يمكن للشهوة ان تكون بذاتها حاجبا وحاجزا بين الإنسان ربه الا اذا منع الانسان نفسه عن استقبال عطاء الله؛ بأن خفى نفسه وراء رداء الشهوة وحجاب الغريزة.
- "ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما اذن فيه من مسألته" ألقى الله سبحانه وتعالى مفتايح خزائنه بين يديك أيها العبد، هذا مفتاح الرزق فافتح خزائن الرزق الالهية، و ذاك مفتاح العلم فافتح خزائن العلم الالهية، و ذاك مفتاح التوفيق فافتح خزائن التوفيق الالهية هذه المفاتيح بين يديك وهي جمل الدعاء التي تخاطب بها ربك.
- "فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب خزائنه" اذا كانت خزائن البنوك وخزائن البيوت لا تفتح الا في اوقات معينة، فإن خزائن الله لا وقت محدد فيها فأنت تستطيع ان تستفتح بالدعاء ليلا، وتستطيع أن تفعل

ذلك نهارا، وتستطيع في اول الفجر.. ف هلم ايها المؤمن لكي تفتح بالدعاء خزائن الله التي لا تنفد.

روي عن الامام الحسن ع: "ما فتح الله على احد باب مسألة فخزن عنه باب الاجابة" عليك أيها المؤمن عمل بسيط بأن ترفع يديك الى الله سبحانه وتعالى، كما يقول رسول الله ص "فاسألو الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة" حتى يعطيك الله ما تشاء من خزائنه.

2. شرائط استجابة الدعاء

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

يتساءل الكثير من الناس ما بالنا ندعو الله فلا يستجيب دعاؤنا؟ لماذ نلح في قضايانا فلا نجد الاجابة؟ ألم يعد الله سبحانه وتعالى عباده بالاجابة اذا دعوه عندما قال "ادعوني استجب لكم" ؟ لماذا ندعو ربنا فلا يستجيب لنا؟ ماهي الحواجب التي تحجب الدعاء؟ وماهو الذي يمنع من ان تتحقق طلباتنا الدنيوية؟

قد لانستطيع ان نعرف اننا قد استجيب دعواتنا فيما يرتبط بالاخرة، ولكن مابالنا ندعو الله في الرزق ولانرزق؟ ندعو الله في الولد فلا يحصل لنا الولد، وندعوه في النجاح فلا يحصل لنا النجاح، و في الهداية الكاملة فلا تحصل لنا؟

هل هناك شرائط معينة؟ هل هناك اسباب خاصة ترتبط بالدعاء حتى يستجاب او لا؟ من الواضح ان هناك عددا من الاسباب لو توفرت فإنها تحقق مقتضيات اكثر لاستجابة الدعاء. و من تلك الأسباب:

اولا/ ان يقترن الدعاء بالعمل

من اراد الرزق لا يستطيع ان يرفع كفيه الى السماء وهو جالس في بيته متقاعس عن شغله وعمله فيقول مثلا: يارب ارزقني. هذه تمنيات المفلسين و هذه خلاف الحكمة الالهية، وسيأتي الحديث بعد قليل ان كرم الله باستجابته للدعاء لا يمكن ان ينقض حكمته في سنن الكون والمجتمع. فاذا لابد ان يقرن الانسان دعاءه بالعمل وان يخلط عمله بالدعاء، و ذلك المعنى ورد عندنا في روايات المعصومين متكررا "يكفي احدكم من الدعاء مع العمل مايكفي الطعام من الملح. "

اذا قام بعمل فيه اتجاه تحقيق تلك الامنية وقرنه بالدعاء، فان ذلك يوفر اقتضاء وسببا لاستجابة الدعاء . لو أن احدهم طلب ان يكون في ارفع درجات العلم والمعرفة ثم نام اكثر يومه ودعا الله ان يرزقه علما كثيرا، فإن هذا لن يحصل؛ لأنه لم يخلط دعاءه بعمله، كان ينبغي ان يسعى في طلب العلم والمعرفة ويدعو ربه في اثناء ذلك حتى يحقق له ما اراد.

فأول امر ينبغي فعله ان يقرن دعاءه بالعمل المناسب لما يطلبه، فإذا كنت تريد الجنة اسأل الله الجنة، ولكن طريق الحصول على الجنة يمر عبر الالتزام بالفرائض والاعمال الصالحة.

ثانيا/ أن يطيب الانسان مكسبه

من تلك الأسباب ان يطيب الانسان مكسبه، وهكذا فانه لو كان مكسبه حراما ومأكله حراما ورفع يده الى السماء فكيف يمكن ان تتلقى هذه اليد المبنية من مال محرم والنامية على شي مخالف لله سبحانه وتعالى؟ كيف يمكن لها ان تستقبل العطاء الالهي؟ لايمكن ذلك.

في الحديث عن رسول الله ص عندما سأله احدهم انه كيف يستجاب له دعاؤه؟ قال ص: " من احب ان يستجاب له دعاءه فليطيب مطعمه و مكسبه" . وهكذا في الحديث عن الامام الصادق ع : اذا اراد احدكم ان يستجاب له فليطيب كسبه وليخرج من مظالم الناس وإن الله لايرفع دعاء عبد وفي بطنه حرام او عنده مظلمة لأحد من خلقه"

هذا الدعاء يحتاج الى اقلاع من الارض الى السماء، الاقلاع ممنوع بالنسبة لهذا الدعاء اذا كان الداعي مكسبه حراما .. هذا الدعاء المنطلق من فم وذلك الفم مشغول بمظالم العباد، منطلق من قلب مترع بالحقد على عباد الله .. هذا الدعاء لا يمكن ان يغادر الارض الى السماء فليس له جناحان و لايستطيع الاقلاع حتى يصل الى الله او حتى يستجيب لهذا الداعي.

ثالثا/ أن لايكون الدعاء منافيا للحكمة الالهية

كذلك أن لا يكون هذا الدعاء منافيا للحكمة الالهية والسنن الكونية التي جعلها الله في الكون والمجتمع ، فقد وضع الله لكل شي طريقا، وهيّأ لكل غاية سببا ولا يمكن ان يختل نظام الكون من خلال الدعاء. الله سبحانه وتعالى جعل الشفاء من خلال العلاج، وجعل العلم من خلال طلب العلم، وجعل الرزق من خلال السعي في الأرض (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) وهكذا جعل التوفيق والنجاح في الجدية .. فلا يمكن ان يأتي الله لكي ينقض هذا النظام الكوني من أجل أن شخصا يريد ان يصل الى الرزق من غير طريقه، وان اخر يريد ان يصل الى العلم من غير طريقه، وآخر يريد ان يصل الى التوفيق من خلال

الهزل والعبث .. فإن هذا نقض لقانون الله في الكون والمجتمع ولا يمكن ان ينقض الله قوانينه وحكمته ..

الدعاء يأتي منسجما ومتناغما مع حكمة الله .. لذلك على الانسان ان يسعى لتحقيق اغراضه بالطريق الذي جعله الله لتلك الغايات وان يدعو الله بالتوفيق والتسديد حتى يحصل على تلك النتيجة المطلوبة

رابعا/ توجه القلب

كذلك هناك بعض الامور يمكن ان يلاحظ انها سنن واداب لتكملة الدعاء وتوفير الاجواء اكثر لاستجابة الدعاء فمن ذلك مايرتبط بحالة الداعي اذا انقطع الى ربه وتوجه بقلبه الى خالقه وعلم ان لاشيء ينفعه غير الله ولاشيء قادر على ان يحقق له مايريد الا الله فخشع قلبه وخضعت جوارحه وانقطع الى بارئه وهملت عيناه ف دونك دونك ذلك وقت الدعاء. في الحديث عن الامام الصادق ع : "اذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك ف دونك دونك فقد قصد قصدك" فذلك الوقت استفد من الفرصة

البسملة في الدعاء ايضا مما يسبب الاجابة، في الحديث عن رسول الله ص: " لايرد دعاء أوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ". وكذلك تمجيد الله والثناء عليه ومدح الله بما هو أهله كما سنبين عند حديثنا التفصيلي في موضوع دعاء الافتتاح، فإن ذلك يوفر جوا للاستجابة.

وكذلك أيضا وهو المهم الصلاة على النبي محمد ص، فإن الإمام الصادق يروى عنه: (لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد وآل محمد) وعنه أيضا (من كانت له الى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد فإن الله أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط اذا كانت الصلاة على محمد وآله لاتحجب عنه)

3. غايات الدعاء وفوائده

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

لاشك أن ذلك التأكيد الذي نقلنا جانبا منه من القرآن الكريم ومن أحاديث المعصومين على الدعاء أنه يستبطن وجود غايات مهمة وفوائد كثيرة في هذا الدعاء، والا لما كان ذلك التركيز والتأكيد عليه.

وقد لانستطيع في هذا الوقت المختصر ان نتعرض الى كل الفوائد وجميع الغايات التي يتعقبها الدعاء، ولكننا نشير الى عدد منها على سبيل الايجاز والاختصار، فمن الغايات ماهي غاية معرفية. الدعاء يعد أحد مصادر المعرفة الدينية المهمة بالنسبة الى الانسان المؤمن فإن المعرفة الدينية تارة تؤخذ من القرآن الكريم وهو أعلى المصادر، واخرى تأخذ من السنة النبوية وسنة المعصومين عليهم السلام وهي التي تشتمل على اقوالهم. ومن اقوالهم الدعاء، بل لقد وجدنا الدعاء في بعض الفترات قد تحول الى وسيلة اساسية لنشر المعارف الدينية، انظروا الى دعاء الامام الحسين ع في يوم عرفة وتأملو كيف يعرّف الامام الحسين الانسان المؤمن ربه بصفاته وباسمائه وطرق الوصول اليه من خلال هذا الدعاء الشريف، وهكذا كيف يعرف الانسان بسائر قضاياه الدينية.

الدعاء يعد احد الوسائل المهمة التي قام بها اهل البيت ع في نشر العلم النبوي وفي نشر المعرفة الدينية ولهذا كما سيأتي الحديث بعدئذ ينبغي ان ينظر الى الدعاء وان يقرأ بنظرة تأملية تدبرية، وان لا يكتفى بالقراءة اللفظية التعبدية.

وهناك غاية اخرى وهي غاية تربوية عبادية الدعاء يجعل الانسان في موقف يحقق فيه تمام عبوديته لله تعالى. الدعاء يُجلس الانسان على منصة الاعتراف ويجعله يحاكم نفسه، يجعله يخاطب ربه مستعطفا متذللا متخضعا، ويقارن بين موقفه وموقف ربه كما في دعاء الافتتاح "إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي وَالاِحْسانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ" هذا الموقف الذي يوقفه الدعاء ويوقف الانسان فيه، يجعل هذا الانسان في الموقف الطبيعي والحقيقي، موقف العبد الداخر الذي لايملك شيئا " اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيتُ لَكَ عَبْداً داخِراً، لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً "

"اللّهُمَّ إن تَشَأْ تعفُ عَنّا فَبِفضْلِكَ، وَانْ تَشَأْ تُعَذِّبْنا فَبَعدْلِك فَسَهِّلْ لَنَا عَفْوَكَ بِمنِّكَ، وَأَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ بِتَجاوُزكَ "

هذه الجمل من الادعية وكثير غيرها تُوقف الانسان مكان الاعتراف وتحقق له العبودية كاملة وذلهذا كان الدعاء كما في الرواية مخ العبادة أصل العبادة جوهر العبادة.

هناك جانب نفسي يحققه الدعاء وهو أنه يكون بمثابة تفريغ للشحنات السلبية التي تكون في داخل النفس. إن الانسان لتحدق به في حياته الكثير من المشاكل والازمات والمصائب فيكاد يخرج من طوره وربما يفقد عقله، يتحول الى بالون منتفخ بالمشاكل والهموم والشحنات السلبية والازمات النفسية، فهنا يحتاج الى شيء ينفس ويفرج عنه، ويخرج هذا الاحتقان.

الدعاء يمثل ذلك المنفس، و يمثل ذلك الفضاء الواسع الذي يشرح صدر الانسان والذي يخفف عنه كل ذلك الضغط والمشاكل. ألا نجد نبيا من أنبياء العظام عندما غُيّب عنه ابنه واشتعل رأسه شيبا وابيضت عيناه من الحزن، وجد الدعاء طريقا اليه ووجد بثه الى الله سبيلا لتخفيف ألمه وحزنه " قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّه"

اذا احدقت بك الهموم والمشاكل فإن باب الله مفتوح توجه اليه، القي ذات صدرك بين يديه، أخرج مافي قلبك الى ربك وتخفف من هذا الحمل واطلب من الله العون واسأله المساعدة فستجد الله عندك قريبا .

من غايات الدعاء تعريف الانسان بحاجاته. كثير من الناس في هذه الدنيا يخطئون حاجاتهم الحقيقية فيسعون عمرهم ويكدحون حياتهم لتحقيق اشياء ليست هي الحاجة الحقيقة ، حتى اذا فني عمرهم وانتهت حياتهم ووصلو الى ذلك المطلب والى تلك الحاجة التي ظنوها هي الهدف وجدو السراب " حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا"

سراب كان يسعى خلفه لكن انتهى عمره في السعي لها وفي البحث عنها، الدعاء يعين للانسان حاجاته، يقول " وأسألُكَ اللَّهُمَّ حَاجَتي التي إِن أعْطَيتَنِيهَا لَم يَضرُّني مَا مَنَعتَني، وَإِن مَنَعتَنِيهَا لَم يَنفَعني مَا أعْطَيْتَني، أسألُكَ فَكَاكَ رَقَبَتي مِن النَّار"

الدعاء يعين للانسان في هذه الحياة اهدافا يسعى اليها في المستوى النفسي " أَللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَبَلِّغْ بِإيْمَانِي أكْمَلَ الإِيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِيني أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بنِيَّتِي إلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إلى أَحْسَنِ الأعْمَالِ"

الدعاء يرفع الانسان الى مستوى التفكير في مكارم الاخلاق كحاجات اساسية. فحاجته في هذه الدنيا ضمن اطار الوضع الاسلامي كما نقرأه في دعاء الافتتاح " اللّهُمَّ إنا نَرْغَبُ إلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِها الاِسْلامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِها النِّفاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنا فِيها مِنَ الدُّعاةِ إلى طاعَتِكَ، وَالقادَةِ إلى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ" .

الدعاء يعين للانسان كيفية تعاطيه مع اخوانه المؤمنين عندما يدعو لنفسه في ضمن المجموع " اَللّهُمَّ بِرَحْمَتِكَ فِي الصّالِحينَ فَاَدْخِلْنا " هذا دعاء للمجموع اولا، وللانسان في ضمن المجموع، والدعاء للاخرين قيمة اخلاقية عالية.

اذا الدعاء له غايات متعددة، تارة تحقق عبودية الانسان تجاه ربه، اخرى تعرف الانسان ربه ونبيه ووليه كما في دعاء الافتتاح، ومبدأه ومنتهاه كما في مكارم الأخلاق، وأيضا يحقق للانسان فضاء من الانشراح ومنفسا من الهموم، والدعاء اخيرا يعرف الانسان بحاجاته الحقيقية لكي يكدح من اجلها ويسعى اليها.

4. بين الاسناد والمصاديق

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

حديثنا حول دعاء الافتتاح الذي يروى عن صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن، وفي البداية لابد ان نشير الى ان هذا الدعاء يروى عن الامام الحجة عج ، فقد ذكر السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس المتوفى سنة 664 هـ في كتابه اقبال الاعمال بسند هو هكذا: (حدثني ابو الغنائم محمد بن محمد بن عبدالله الحسني قال اخبرنا ابوعمر محمد بن محمد بن نصر السكوني رضي الله عنه قال سألت ابا بكر احمد بن محمد بن عثمان البغدادي رحمه الله أن يُخرج إلي شهر أدعية شهر رمضان الذي كان عمه ابوجعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه وارضاه يدهو بها فأخرج لي دفترا مجلدا بأحمر فنسخت منه ادعية كثيرة وكان من جملتها وتدعو بهذا الدعاء في كل ليلة من شهر رمضان، فإن الدعاء في هذا الشهر تسمعه الملائكة وتستغفر لصاحبه ثم أورد الدعاء المعروف بدعاء الإفتتاح وسمي بدعاء الافتتاح لأجل أنه يفتتح الداعي فيه بقوله اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك وأنت مسدد للصواب بمنك وأيقنت أنك انت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة .. الى آخر هذا الدعاء الذي سوف نأتي على الحديث في بعض مضامينه .

يمكن أن يقال من ناحية رواية هذا الدعاء أن يقال عدة امور :

الأمر الأول ان غالبية من ذكروا فيه هذا السند هم من الممدوحين وبالتالي فإنه يمكن ببعض القرائن أن يكون هذا السند معتبر في الجملة وهناك طريق آخر يستفيد منه عدد من العلماء وهو مايعبر عنه بمسلك الوثوق بصدور الحديث والاطمئنان بصدوره من المعصوم وآنئذ فلا يحتاج الامر الى تجشم عناء البحث في السند فإنهم قد ذكروا ان الرواية او الدعاء اذا تم الوثوق بصدوره عن المعصوم والاطمئنان اليه امكن الاعتماد عليه

كما هو مسلك عدد غير قليل من علماء الطائفة كأن يذكر هذا النص في ععد من الكتب الرئيسية التي اشتهر اصحابها بأنهم يدققون في جهة صدور الحديث والنصوص عن المعصومين او ان يكون هناك قراءن اخرى تفيد المتأمل بصدور هذا النص من المعصوم ع مثل لو ما اعتمد عليه العلماء في فترات مختلفة من الزمان وتعاملو معه على اساس انه نص من النصوص الشرعية الصادرة عن المعصومين ع وهناك طريق اخر ايضا وهو مايسمى في الاصطلاح بطريق التسامح في ادلة السنن بمعنى ان الاوامر الاستحبابية التي ترد عن المعصومين ولو كانت بسند ضعيف بل واحيانا حتى بلاسند واضح فأنه يمكن التعامل معها بخصوص فيما يرتبط بأمور المستحبات في المواعظ والادعية وماشابه هذا وبناء على هذا فإننا يمكن ان نتعامل مع هذا الدعاء دعاء الافتتاح على هذا الاساس ولهذا ذكره عدد من علماءنا الاعاظم في كتبهم فمن ذلك ان شيخ الطائفة الطوسي محمد بن الحسن وهو احد المشايخ الذين تعتمد الطائفة على كتبهم ككتاب تهذيب الاحكام والاستبصار وجلالته وعظمته اشهر من ان تحتاج الى حديث، ذكر الشيخ الطوسي هذا الدعاء في كتابه مصباح المتهجد بعنوان كل ليلة من شهر رمضان وكذا ايضا ذكره في كتاب التهذيب وهو كتاب فقهي استدلالي ذكره ايضا بهذا العنوان وان لم يذكر له هذا السند الذي تحدثنا عنه

وكذلك ايضا ذكره الشيخ تقي الدين الكفعمي المتوفى سنة 905 هـ في كتابه المصباح الذي هو معد لذكر الادعية والاعمال المستحبة وذكره ايضا العلامة المجلسي في كتابه بحار الانوار ونسبه في هذه الحالة الى الامام الحجة عج

فإذا هذا الدعاء يمكن ان يتعامل معه على اساس واحد من المسالك الثلاثة باعتباره نصا من النصوص الواردة عنهم والتي يمكن ان يستفاد منها .. هذا اضافة الى مايذكره بعض العلماء خصوصا من يذهبون الى طريقة الوثوق الصدوري والاطمئنان بصدور الدعاء مايذكرونه من فخامة المعاني الموجودة في هذا الدعاء ومن بلاغة الالفاظ الموجودة في

هذا الدعاء وهذا لايتيسر في الغالب الا من اوتي علما ليس من سنخ العلم العادي الذي يملكه الناس او العماء او الفقهاء.

إن قليلا من التأمل في هذا الدعاء الشريف يفيدنا معرفة بأن هذه البلاغة الواضحة في استعمال الالفاظ والتعابير من جهة وهذه المعاني التي عبئت في الالفاظ والتي تستفاد من خلال التأمل فيه .. تفيد أن هذا الدعاء لايصدر الا من مشكاة الوحي والتنزيل ومن مدينة العلم النبوي ومن لسان المعصومين ع

وإن قليلا من التأمل في هذا الدعاء يفيد ذلك المعنى الذي توجهنا اليه وذكّرنا به وهنا لابد ان نلفت الى قضية وهي ان علينا عندما نقرأ الادعية عموما ان نتأمل فيها ونتفكر فيها ونتدبر في الفاظها لان هذه الادعية مخازن معرفية وموائد علمية قدمها لنا المعصومون ع لكي نستفيد علما ومعرفة وفهما في القضايا الدينية اضافة الى كونها مدرسة تربوية اخلاقية وتنفع الانسان في تربية نفسه وفي تعويدها على الخير وفي تحقيق عبوديته لله سبحانه وتعالى، اما القراءة التعبدية التي تنشغل بالالفاظ فقط وهمها يكون اخر الدعاء – مع انها لاتخلو من الفائدة بمعنى الثواب والاجر الاخروي لمن قرا هذا الدعاء – الا انها لاتحقق الثواب الاكمل من جهة ولاتحقق الفائدة العظمة من جهة اخرى إن الدعاء كالقرآن الكريم لاينتفع به الانسان انتفاعا كاملا الا اذا تدبر فيه وتأمل في معانيه وحاول ان يسعى لتحقيق تلك المعاني في حياته العملية.

5. الحمد والثناء للباري عز وجل .. أساس المعرفة

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

ورد في الدعاء المعروف بدعاء الافتتاح "اللّهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّناءَ بِحَمْدِكَ، وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوابِ بِمَنِّكَ، وَأَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدُّ المُعاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النِّكالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمُ المُتَجَبِّرِينَ فِي مَوْضِعِ الكِبْرِياءِ وَالعَظَمَةِ.

اللّهُمَّ أَذِنْتَ لِي فِي دُعائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ، فأَسْمَعْ ياسَمِيعُ مِدْحَتِي، وَأَجِبْ يارَحِيمُ دَعْوَتِي وَأَقِلْ ياغَفُورُ عَثْرَتِي، فَكَمْ ياإِلهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَها، وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَها، وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَها، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَها، وَحَلْقَةِ بَلاءٍ قَدْ فَكَكْتَها"

وهذا الدعاء الذي يروى عن محمد بن عثمان بن سعيد العمري سفير الامام الحجة عج وهو بطبيعة الحال لايُنشئ شيء من عنده ولايتخطى ما أُمر به من قبل المعصومين، بل ولا يستطيع ان يُنشئ مثل هذا الانشاء ولا مثل هذه المعاني حتى لو اراد ذلك. هذا الدعاء الشريف يحتوي على مضامين كثيرة نعرض عليها على سبيل الفهرسة اولا والعناوين الاجمالية، ثم نتحدث بقدر مايتسع المجال عن بعض فقرات هذا الدعاء.

في فهرسة اجمالية لهذا الدعاء نحن نجد ان الداعي يبتدأ في هذا الدعاء ويفتتح هذا الدعاء بالحمد والثناء على الله مع ذكر صفات الله سبحانه وتعالى واسمائه الحسنى ويمدح الله بما هو اهله مما يعبئ في هذه الالفاظ عددا من الصفات الالهية التي تنزه الله وتسبحه وتقدسه وترفعه عن أن يكون له شريك او نظير او مثيل.

يبدأ في ذكر صفات الجلال (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) صفات الله الجلالية التي ينزه الله فيها عن النقص والحاجة والشريك وماشابه ذلك

"الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِ". ثم بعد ذلك يحمده بجميع محامده على جميع نعمه كلها ثم يبدا بعد ذلك مرة اخرى بتنزيهه " الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلاشَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ" ثم يعطف على صفات الجمال الصفات الايجابية " الحَمْدُ للهِ الفاشِي فِي الخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظاهِرِ بالكَرَمِ مَجْدُهُ، الباسِطِ بالجُودِ يَدَهُ، الَّذِي لاتَنْقُصُ خَزائِنُهُ"

وهكذا يطوي الداعي المرحلة الاولى من الدعاء بالحديث عن مدحة الله وثناء الداعي على الله وذكر اوصافه واسمائه الحسنى جلالية وجمالية ثم بعد ذلك يتحدث الداعي في حالة من الضراعة والعبودية وفي حالة من الاحتياج والفقر المطلق الى الله لكي يمهد للطلب، أنت يارب بتلك الصفات وبذلك الكرم والمجد والعطاء، وأنا في هذا الموقع بهذه الحاجة وهذا الفقر وهذا النقص وهذا الذنب والخطيئة التي تحدق بي " اللّهُمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِي، وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي، وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي، وَسَتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي، وَحِلْمَكَ عَنْ كَثِيرِ جُرْمِي عِنْدَما كانَ مِنْ خَطَأي وَعَمْدِي، أَطْمَعَنِي فِي أَنْ أَسْأَلَكَ ما لا اسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ"

أنت يارب في منتهى التفضل وفي منتهى الرحمة والاحسان ، وانا في منهى في الحاجة "اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ، مَعَ حَاجَةٍ بِي إِلَيْهِ عَظِيمَةٍ وِغِناكَ عَنْهُ قَدْيمٌ، وَهُوَ عِنْدِي كَثِيرٌ وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ" بينما هو عندي عسير بالنسبة اليك سهل يسير بنما هو حاجتي العظمى هو مطلبي الاكبر وهو عندي خطير وعظيم، ولكن بالنسبة الى قدرتك والى جودك ورحمتك لا يساوي شيءً.

ثم يكرس الداعي ادانة نفسه وعتابه لها في موقفها تجاه نعم الله تعالى هذا الموقف الذي يوقف الانسان على خشبة الاعتراف بين يدي الله سبحانه وتعالى ، يقول " فَلَمْ أَرَ مَوْلىً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلى عبْدٍ لَئِيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يارَبِّ، إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ"

الله هو الذي يدعو، الله هو الذي يتوب، الله هو الذي يبادر بالانعام، بينما انا العبد العاصي الذي لا اقبل دعوة الله، ولا اقبل تقرب الله، ولا استقبل نعمة الله كأن لي انا التفضل، بينما الله ذو الفضل والاحسان والامتنان.

بعد ذلك في المرحلة الثالثة يعود مرة اخرى الى الحمد والثناء على الله ذاكرا صفات العطاء من قبل الله سبحانه وتعالى للعبد وللخلق " الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ، وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وأَنا أَعْصِيهِ، وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلا أُجازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطانِي، وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَة قَدْ كَفانِي، وَبَهْجَةٍ مونِقَةٍ قَدْ أَرانِي، فأُثْنِي عَلَيْهِ حامِداً وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً. الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يُهْتَكُ حِجابُهُ، وَلا يُغْلَقُ بابُهُ، وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ "

ثم بعدها يتحدث الداعي ولانزال في فهرسة اجمالية عن مواضيع هذا الدعاء واغراض هذا الدعاء وقضاياه بعد ذلك يتعرض الداعي من خلال الدعاء الى آيات الله في الطبيعة

والمجتمع " الحَمْدُ للهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرْعَدُ السَّماء وَسُكَّانُها، وَتَزْجُفُ الأَرْضُ وَعُمَّارُها، وَتَمُوجُ البِحارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي غَمَراتِها"

وايضا اياته في المجتمع " الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الخائِفِينَ، وَيُنَجِّي الصَّالِحِينَ، وَيَرْفَعُ المُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ المُسْتَكْبِرِينَ، وَيُهْلِكُ مُلُوكا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ"

كأن الدعاء يقول للداعي ايها الانسان : الامور بيد الله، لاتتصور ان القوى الكبرى هي التي تتصرف في المقادير وهي التي تنصب او تعزل، او هي التي تنفع او تضر، كلا!

الذي يرفع والذي يضع، والذي يبدل والذي يؤمن الخائفين والذي ينجي الصالحين والذي يصنع المستقبل للمؤمنين انما هو الله سبحانه وتعالى فعليك ان تلجأ اليه، لاتنظر الى القوى الكبرى ولا الطواغيت على انهم يمتلكون القضايا، هم لايملكون شيءً. المالك النافع الضار الذي يرفع ويخفض ويقمع المستكبرين ويضعهم هو الله سبحانه وتعالى .. فتوجه اليه ولاتخف من احد غيره ولا تلجأ الا اليه .

ثم بعد ذلك في المرحلة الرابعة عن المعرفة بقادة الانسان المؤمن من خلال صلاة مفصلة على رسول الله محمد "اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحافِظِ سِرِّكَ وَمُبَلِّغِ رِسالاتِكِ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ وَأَزْكى وَأَنْمى وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ وَأَسْنى وَأَكْثَرَ ماصَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ عِبادِكَ وَأَنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ وَصَفْوَتِكَ وَأَهْلِ الكَرامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ".

6. إضاءات من دعاء الافتتاح

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

كان حديثنا في ما سبق يتناول فهرسة اجمالية لفصول الدعاء الشريف المروي عن الامام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه و المسمى بدعاء الافتتاح، وقلنا ان هذا الدعاء يتناول في البداية - اضافة الى حمد الانسان لربه وبدئه بالحمد - يتناول اسماء الله وصفاته الحسنى كما يتناول ايضا موقف الانسان الداعي في ضراعته و تخضعه وسؤاله لله عز وجل.

ثم يتناول ايضا بعض سنن الله سبحانه و نعمه في المجتمع والكون، ويعطف بعد ذلك على موضوع الصلاة على النبي وعلى اله؛ لكي يُعرّف بهذه الصفوة الطاهرة ويزيد من انتماء الانسان اليهم، فيبدأ بالصلاة على النبي محمد ثم يعطف ذلك بالصلاة على المعصومين عليهم السلام، و يخص في اخر المطاف الامام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بمزيد من العناية والمد حة والصلاة عليه .

وقد يقول قائل كيف يصلي الامام الحجة على نفسه اذا كان الدعاء مرويا عنه؟ فنقول في اجابة سريعة قبل ان نصل الى ذلك المورد، ان هذا غير ممتنعا بل هو واقع في الادعية كثيرا، فلقد علّم النبي صلى الله عليه واله اصحابه كيفية الصلاة عليه نفسِه وعلى آل بيته. وورد ايضا في كلام امير المؤمنين عليه السلام وفي كلام الامام الصادق عليه السلام ما فيه صلاة وسلام على نفس الامام بإسمه.

بعد هذا يتحدث الدعاء الشريف عن مطالب الانسان التي ينبغي ان يطمح اليها، فهو يطمح في ما يرتبط بالاخرة الى مغفرة الله والى جنته ويسأل الله بالنسبة الى الدنيا ان يرزقه الدولة الكريمة التي يُعز بها الاسلام ويُعز بها اهله، ويُذل بها النفاق ويُذل بها اهله، وسنأتي في الكلام ان شاء الله على هذه المفردات فيما بعد.

ثم اخيرا ينتهي الدعاء الى ان يدعو الداعي الى نفسه بالجنة ونعيمها في ضمن هذا المجموع المؤمن؛ لكي يحصل على ثواب اشراك سائر المؤمنين في دعائه ولكي يوفر فرصة اضافية لاستجابة دعائه للمؤمنين وهو في ضمن المؤمنين.

بعد هذا نشرع في هذا الدعاء المبارك، يقول: " اللّهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّناءَ بِحَمْدِكَ، وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوابِ بِمَنِّكَ" الدعاء تارة يكون دعاء مجردا ومباشرا، واخرى يحتاج الى افتتاح و يحتاج الى تمهيد، وقد ورد في روايات المعصومين عليهم السلام ان المدحة قبل المسالة.

انت عندما تريد ان تسأل احد من الناس شيئا تقدم له بمقدمة كأن تقول: انت من اهل الخير و هذا العمل يتيسر لك و يرجى منك ... ثم بعد ذلك تطلب منه طلبتك، اما لو جئت اليه وقلت افعل لي هذا الامر او قم لي بهذه الطلبه فلا يكون الاثر في انجاز الطلبة كالاثر في السابق، لهذا ورد في الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام ان المدحة قبل المسألة. المدحة، التمجيد، الثناء، ففي الخبر ان كل دعاء لا يكون قبله تمجيد فهو ابتر، لذلك يلاحظ الدعاء هذه الجهة، ويلاحظ الداعي هذه الجهة فيقول: " اللّهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّناءَ بِحَمْدِكَ" وقضية الحمد لله سبحانه وتعالى قضية مركزية في هذا الدعاء، لو لاحظت اخي المؤمن / اختي المؤمنة كيف ان هذا الدعاء فيه اكثر من تسعة عشر موردا بلفظ الحمد، إما مثل: بحمدك او الحمد لله ، و يأتي بصفات الله تعالى.

ماذا يعني الحمد؟

العلماء يفرقون بين ثلاث مصطلحات، **المصطلح الاول الحمد، والمصطلح الثاني المدح، والمصطلح الثالث الشكر. بالنسبة للمدح** يقولون: ان الغالب في المدح انه لا يرتبط بفعل ارادي واختياري، مثلا انت تمدح هذه الشجرة بأنها شجرة خضراء جميله وارفة الظلال، هذا المدح لهذه الشجرة لا يرتبط بفعل ارادي قامت به تلك الشجرة فهي خلقت هكذا، ونبتت بهذه الصورة فلم تمارس فعلا ارادیا. فإذا المدح سواء كان لشخص كأن تمدحه بانه جميل المنظر، متناسق القوام ، طويل القامة مثلا، هذه الصفات لا ترتبط بالضرورة بافعاله الاختيارية، فهو لم يختر ان يكون طويلا او قصيرا، ولكن هذه الصفة الجمالية التي وجدت فيه تستوجب منك وتستدعي منك المدح لشكله وجماله وقوامه. وقد يكون المدح بشكل ابتدائي مبادرة من قبل الانسان الملاحظ لجمال شيء فيمدحه.

بالنسبة للشكر، ايضا ليس بالضرورة ان يكون على اثر فعل اختياري، فقد يكون على اثر فعلا اختياري يقوم به الانسان ويشكره الناظر، وقد لا يكون كذلك. يشكر بشكل ابتدائي كون الامر الفلاني على هذه الشاكلة وعلى هذه الصفة.

أما الحمد فيختلف، يلاحظ الانسان صفة من الصفات الاختيارية غالبا في الطرف المحمود، كأن يكون عالما فيحمد له علمه، او كأن يكون جوادا منفقا فيحمد فيه تلك الصفة، فهكذا الحال لو لاحظ فيه سيرةعملية طيبة. وهذا الحمد ايضا لا يرتبط بفعل مباشر قام به ذلك المحمود لهذا الانسان، فقد تحمد عالما على علمه مع انك لم تكن تلميذا من تلاميذه، ولم تقرا كتابا من كتبه لكنه عالم، تحمد شخصا منفقا وجوادا لانه قام بعملا في المجتمع طيبا مع انه لم يصل لك ذلك العمل واثاره بشكل مباشر. الحمد اذا يختلف عن الشكر و عن المدح، وهو اعظم منهما.

نحن نجد ان كلمة المدح لم تستعمل في القرآن الكريم بالنسبة لله تعالى، استعملت كلمة الشكر في بعض المواضع واستعمل الحمد في كثير من المواضع بل في اهم المواضع كما نحن نقرأ في سورة الفاتحة التي هي ام الكتاب وفيها اول الآيات ورأس الآيات "الحمد لله رب العالمين" هنا الدعاء الشريف يركز على هذه العلاقة بين الانسان العبد، وبين الرب الخالق المنعم الحكيم القادر، وهي علاقة الحمد. ليست مدحا فقط لان افعال الله افعال ارادية اختيارية، يرفع ويضع ويعطي ويمنع، فهو يستحق الشكر و يستحق فوق ذلك الحمد.

الحمد لله رب العالمين، و الحمد لله كلمة جامعة لكل معاني الثناء والمدح والشكر والتوصيف بوصف عال، فلقد نُقل ان الامام زين العابدين عليه السلام فقد ضالة فاتجه الى السماء وقال: ان رجعت الي لأحمد الله بمحامد يرضاها، فلما وجدها نزل وسجد لله و قال: الحمد لله رب العالمين، فقال له بعض من حضر كيف يكون ولقد قلت لتحمدنه بمحامد ترضاها؟ قال ما مؤدى الحديث: ان كلمة الحمد لله جمعت كل انحاء الحمد فلم تغادر شيئا الا وجعلت فيه وفي ذلك توجيه علمي نشير اليه العله في وقت قادم .

7. إضاءات من دعاء الافتتاح

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

لانزال في رحاب دعاء الافتتاح الذي يروى عن الامام صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يفتتح الدعاء بهذه العبارات "اللّهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّناءَ بِحَمْدِكَ، وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوابِ بِمَنِّكَ، وَأَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدُّ المُعاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النِّكالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمُ المُتَجَبِّرِينَ فِي مَوْضِعِ الكِبْرِياءِ وَالعَظَمَةِ. اللّهُمَّ أَذِنْتَ لِي فِي دُعائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ، فأَسْمَعْ ياسَمِيعُ مِدْحَتِي، وَأَجِبْ يارَحِيمُ دَعْوَتِي وَأَقِلْ ياغَفُورُ عَثْرَتِي، فَكَمْ ياإِلهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَها، وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَها، وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَها، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَها، وَحَلْقَةِ بَلاٍ قَدْ فَكَكْتَها ."

يبدأ هذا الدعاء الشريف منطلقا من يقين الانسان بحكمة الله سبحانه وتعالى الذي يضع الاشياء في مواضعها، " وَأَيْقَنْتُ " المطلوب في العقائد درجة اليقين، المطلوب في العقائد العلم الراسخ الذي يُشهد الانسان ربه عليه، انا متيقن يا رب انك بالغ الحكمه، فلا تضع الرحمة موضع العذاب، ولا تضع النقمة موضع الرحمة. "وَأَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدُّ المُعاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النِّكالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمُ المُتَجَبِّرِينَ فِي مَوْضِعِ الكِبْرِياءِ وَالعَظَمَةِ" لا شك أنّ مقام الداعي هو مقام استرحام واستعطاف لله سبحانه وتعالى، ولذلك يخاطب الله بما عهد الداعي عنه من حكمة في انه يضع رحمته موضعها، ويضع عطفه موضعه، متيقن بذلك شاهدا عليه معتقدا تمام الاعتقاد به، وانا يا رب في موضع العفو والرحمة في موضع الاسترحام في موضع الاستعطاف؛ لذلك انتظر منك عفوا ورحمة ومغفرة

القرآن الكريم والروايات تتحدث عن صفات الله سبحانه وتعالى و لكنها تجعل كل شيء في موضعه، (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) في نفس

الوقت الذي هو رحيم، غفور، هو ايضا في الطرف الاخر شديد العقاب، قويٌ، متجبر، قادرٌ على انفاذ ما يريد، ولهذا ينبغي ان لا يطمئن هذا المتحدي لله تعالى بأن الله غفور رحيم. الله غفور رحيم ولكن في موضع الرحمه، اما عندما يتحدّ العبد ربه بالمعصية ويجاهر بالذنب فان الدور حينئذ لا يكون دور العفو والرحمة؛ لأن ذلك خلاف الحكمة، وانما يكون دور الكبرياء، دور العظمة، دور العقاب (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ)، لهذا ما يمارسه بعض هؤلاء العباد الذين هم عباد تكوينا وخلقا، ولكنهم متمردون نفسا وعملا، ينبغي عليهم ان يفكروا انهم إنما يخادعون انفسهم عندما يقولون: إن الله غفور رحيم وان الله رحمته وسعت كل شيء، نعم هو كذلك ولكن حكمته هي التي تدير هذه المسألة، تدير الرحمة وتدير النقمة وتدير الكبرياء، فتضع كل شيء موضعه. فاذا كان هناك عبد مستعطف خاضع اذا كان هناك عبد مستغفر طالب، فإن الحكمة تقتضي ان يعامله الله بالرحمة، بينما اذا كان هناك طاغوت يعذب الناس، او ظالم يظلم العباد، او سارق، هذا يغرر بنفسه ويخدع ذاته اذا تصور ان الله بالنسبه له ولأعماله غفور رحيم. الله غفور رحيم ولكنه ايضا حكيم، و بحكمته يضع هذه الاشياء مواضعها، فلا يلبس الانسان على نفسه هذه الامور. الله سبحانه وتعالى يصرح في القران الكريم بهذه الجهات يقول (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ذلك مقام العطاء، مقام التفضل، والاحسان، ولكن (وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ).

اذا كان الانسان يتحدى ربه فلا ينبغي ان يخدع نفسه برحمة الله، وانما عليه ان يتذكر شدة عقاب الله ودقة حساب الله سبحانه وتعالى. " وَأَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدُّ المُعاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النَّكالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمُ المُتَجَبِّرِينَ فِي مَوْضِعِ الكِبْرِياءِ وَالعَظَمَةِ. اللّهُمَّ أَذِنْتَ لِي فِي دُعائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ، فأَسْمَعْ ياسَمِيعُ مِدْحَتِي" يا رب، كان ينبغي ان استأذن وان لا اتجرأ في الحديث معك، انت الرب المطلق، انت القادر المطلق، انت الاله العظيم، من انا وماذا اكون حتى اخاطبك؟ بلساني هذا الذي عصيتك اخاطبك، ام بعيني ارنو اليك و قد اذنبت وتجرات، ام بماذا؟ لكنك يا رب انت اذِنت، انت

تفضلت، انت تكرمت، انت دعوتني لكي ادعوك، وإلا لم اكن اهلا بما انا عليه من العصيان والصغار والذنب، لم اكن اهلا لمخاطبتك، لكنك تفضلت و اذنت لي في دعائك و مسألتك، قلت لي: ادعوني، وانا ممن شملهم ذلك الخطاب فكان ذلك تفضلا منك علي وعلى جميع الناس، قلت لي يا رب على لساني رسولك: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي) وقد استجبت اليك يارب على مستوى ان اطلب منك وان اتضرع اليك وان اثني عليك، "فاسمع ياسميع مدحتي"، هذا حمدي هذا ثنائي عليك ... هذا توصيف اياك مقدمة لطلبي، "فاسمع يا سميع مدحتي" واجب على اثر ذلك "يارحيم دعوتي واقِل ياغفور عثرتي فكم يا الهي من كربت قد فرجتها."

يبدأ الداعي الان في تعداد النعم الالهية عليه على شكل عناوين سواء تلك النعم المباشره مثل الرحمة التي ينشرها ربنا و الرزق الذي يرزقه ويعطيه لهذا العبد، ومثل الجهات السلبيه وهي دفع البلاء، يدفع البلاء الذي يكون قد احاط بالانسان كإحاطة الحلقة الدائرية فاذا به ينجي هذا الانسان من تلك الحلقة الابتلائية؛ لكي ينعمه ولكي ينجيه. "فكم يا الهي من كربة قد فرجتها" تحدق بي الهموم والمشاكل سواء كانت مالية او اسرية او اجتماعية او غير ذلك، فتضيق بي السبل ولا اجد الا ربي سبحانه وتعالى كاشف لها ومفرج لها، فتفرّج ذلك يا رب وتكشفه عني من دون ان يكون لي دور مباشر في تفريج تلك الكربات، ليست واحده ولا اثنتين وانما كم من الكربات يارب قد فرجتها، ولو اراد انسان ان يحسب خلال سنة واحده عدد الكربات و المشاكل والقضايا التي احاطت به ثم فرجها الله سبحانه و تعالى و يسرها وسهل اسبابها لأعياه الحساب، فكيف اذا كان ذلك في جميع عمره؟! يبدا الانسان بالحديث عن مقدار النعم التي انعم الله بها عليه فيبتدئ بتفريج الكربات ثم يعطف بعد ذلك على الهموم وسائر النعم الاخرى نسال الله سبحانه و تعالى ان يواصل نعمته علينا وان يفرج عنا همومنا وغمومنا وكرباتنا بمحمد وال محمد الطيبين الطاهرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

8. إضاءات من دعاء الافتتاح

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

في دعاء الافتتاح "الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً. الحَمْدُ للهِ بِجَمِيعِ مَحامِدِهِ كُلِّها عَلى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها. الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا مُضادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلامُنازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلاشَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ".

يبدأ الداعي هنا متوجها الى بعض صفات الله الحسنى، فيبدؤها بما يعتقد من ان الله ليس له شريك في الملك وليس له ولي من الذل ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وهذه الجمل والكلمات التي تعتبر من اعلى الاذكار قد ورد التأكيد عليها من قبل ائمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم، إن هذه الجمل تحتوي على عدد من المعاني العقدية، وذلك نجد ان قسما من غير المؤمنين بالله تعالى - كما يجب - قالوا إن الله سبحانه و تعالى قد اتخذ اولادا، فزعم بعضهم ان المسيح عيسى بن مريم هو ابن الله، وزعم اخرون ان عزير هو ابن الله، بل زعم المشركون قبل الاسلام ان الله سبحانه وتعالى قد اتخذ الملائكة بنات له فهو يمتلك الاولاد ولكن اناث ويقصدون بذلك الملائكة.

وهذا الذكر العظيم ينزه الله سبحانه وتعالى ويقدسه عن أن يتخذ صاحبة أي زوجة، أو عن يتخذ ولدا، أو عن يكون له شريك في الملك، او عن يكون له ولي من الذل، ماذا يعني ذلك؟

اتخاذ الصاحبة اي الزوجة هو تعبير عن حاجة الزوج لتكميل نقصه من خلال انثى، من خلال زوجة، من خلال امرأة ف عن طريقها يأنس بها، وعن طريقها يقضي شهواته واشواقه، وعن طريقها يتوفر على حاجياته من خلال مساعدتها. الحاجة الى الصاحبة والحاجة الى المرأة تعبير عن نقص الانسان، وكذلك الحال بالنسبة الى الزوجة ايضا عندما تحتاج الى الزوج وهذا امر طبيعي في المخلوق الممكن، ومن ضمن هؤلاء المخلوقات الانسان فإنه ناقص عاجز محتاج لذلك، هو يحاول ان يغطي نقصه و ان يقضي حوائجه من خلال الاخرين، فتارة من خلال الزوجة. الزوجة ايضا والصاحبة لابد ان تكون لكي تقضي حوائج الانسان ولابد ان تكون مجانسة له، لذلك صاحبة الرجل امراة مجانسة له في الانسانية، لكن هذا مستحيل بالنسبه لله تعالى الله سبحانه وتعالى فالله هو الغني (يَا

أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) ليس فيه نقص بل كله كمال بل هو الكمال، ليس فيه عجز بل هو القدرة، ليس فيه ضعف بل هو القوة المطلقة والعظمة المطلقة فلا يحتاج الى اتخاذ الصاحبة، " الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً " الولد ايضا هو تعبير عن حاجة الانسان وعن حاجه المخلوق الممكن فهو يحتاج الى استمرار، و لانه لا يستطيع الاستمرار بنفسه يستمر من خلال ولده فيفكر في الولد، يحتاج الى الولد في كبر سنه وفي عجزه وفي ضعفه وبعد مرور السنوات عليه فيحتاج الى الاعتماد على ولده. اتخاذ الولد والبحث عن الولد هو بحث عن تكميل الذات و عن رفع الحاجة الموجودة في كل مخلوق.

الله سبحانه وتعالى لا يحتاج الى احد ولم يكن له ولد (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ) غير المحتاج بل الجميع يصمدون اليه ويرفعون حوائجهم اليه، (اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) و لم يتخذ ولدا ابدا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا.

وبالتالي ما يتحدث عنه اولئك المشركون او اولئك المنحرفون من اهل الكتاب من ان الله هو ثالث ثلاثة او بتعبير اخر ان مريم العذراء هي ام ابن الله، او ان عيسى ابن مريم هو ابن الله، او ان عزير هو ابن الله، هذا كلام باطل " الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً "

نحن نحمد الله ونشكر الله و نثني عليه في هذه الصفة التي تفرد بها وتنزه بها وتقدس بها، بينما كان سائر خلقه محتاجين، ناقصين، عاجزين يحتاجون الى الغير حتى يقضي حوائجهم عبره. "الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِ" ، لا يوجد هناك شريك على قدم المساواة ولا ولي اعلى منه. الانسان في حياته قد يحتاج الى الشريك، و حاجته الى الشريك نابعة عادة من عجزه وعن اداء حاجاته ومهماته بنفسه، فهو يحتاج الى من يشاركه السعي في تلك الحاجات او يؤدي اليه غرضا من اغراضه، او يكون حلقة من حلقات تحقيق ما يريد. الله سبحانه وتعالى لم يكن له شريك في الملك، له الملك وليس معه احد و ليس له شريك، لا يمكن ان يعدله عدل، ولا ان يكون معه احد، كل من عداه متأثر به ومنفعل به، عبد له، لا يشاركه احد في ملكه، ومن ادعى غير ذلك في اي نحو من انحاء الادعاءات فان دعواه باطلة وهو على حد الشرك بالله.

لو ادعى احد ان النبي محمد صلى الله عليه واله شريك لله في خلقه وفي تصرفه بالاستقلال او انه في ارادته عَرض ارادة الله له فإن الانسان في عقيدته تلك يعد مشركا بالله ويُتبرأ من عقيدته. لو ان احدا - لا سمح الله - ادعى ان احدا من الائمة يشارك الله في قدرته، أو يشارك الله في خلقه، أو يشارك الله في ملكه سواء على نحو الاستقلال، أو على نحو الشراكة، أو على نحو ان تكون ارادته في عَرض ارادة ربه، فهذا مشرك عندنا ولم يفهم حقيقة التوحيد ولم يفهم حقيقة الائمة عليهم السلام الذين هم عباد مخلوقون مربوبون لله سبحانه و تعالى.

" ... وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِ " يعني من سبب الذل لأن من يمتلك الولي في ذلك الجانب هو اقل واذل من الولي. عندما يكون الوالد ولي على ولده الصغير فإن الولد الصغير عندئذ يكون فيه جانب نقص ولابد ان يكون عليه ولي حتى يغطي هذا الجانب، وذلك الولي لابد ان يكون في ذلك الجانب اعز منه واعلى منه. الذي يكون له ولي في ذلك الجانب يملك نقصا ويملك عجزا فيحتاج الى عزيز، ويحتاج الى كبير، يحتاج الى مسيطر ومسير له في ذلك الجانب.

الله سبحانه وتعالى لم يكن له ولي من الذل، ولي هنا بمعنى المتولي والمهيمن، والا فإن المؤمن ولي الله، النبي ولي الله، علي ولي الله، انت ولي الله - ان شاء الله - و هكذا، المقصود هنا لم يكن له ولي أي متولي مهيمن، مسيطر، لماذا لم يكن له ولي؟ لان وجود الولي علامة على الذل، وعلى الضعف، و على العجز.

" وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً " الله أكبر، اجعل الله في نفسك كبيرا فوق ما تتصور، لا تتصور انه اكبر من كذا وكذا، كأن تتصور أنه أكبر من السماوات، أو من الارض، أو من الأكوان أو من غير ذلك، كلا! الله اكبر من أن يوصف ،الله اكبر ... الله اكبر ... كبره داخل نفسك، ومهما صنعت لنفسك صورة من الصور فالله أجلّ، الله أعظم، الله أكبر، وكبره تكبيرا وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

9. النعم الالهية .. صراط للهداية

(تحرير الفاضل: أحمد الحسين)

جاء في دعاء الافتتاح

"الحَمْدُ للهِ بِجَمِيعِ مَحامِدِهِ كُلِّها عَلى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها. الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا مُضادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلامُنازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلاشَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ، الحَمْدُ للهِ الفاشِي فِي الخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظاهِرِ بالكَرَمِ مَجْدُهُ، الباسِطِ بالجُودِ يَدَهُ، الَّذِي لاتَنْقُصُ خَزائِنُهُ، وَلايَزِيدُهُ كَثْرَةُ العَطاءِ إلاّ جُوداً وَكَرَما، إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الوَهَّابُ."

يعود الدعاء مرة اخرى لكي يوجز ما ذكره بشيء من التفصيل من نعم الله، قبل قليل كان الدعاء قد ذكر بعض النعم على هذا الانسان، " فَكَمْ يااِلهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَها، وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَها، وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَها، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَها، وَحَلْقَةِ بَلاٍ قَدْ فَكَكْتَها" تعداد نعم الله سبحانه وتعالى على الانسان مصداق من مصاديق الحمد والشكر، فأنت عندما تواجه ربك تقول: يا رب لك الحمد على ماعطيتني من النعم، انظر اخي المؤمن/ اختي المؤمنة إلى ما حولكما من النعم وقل يا رب وهبت لي الحياة وكان من الممكن ان لا أوجد في هذه الحياة، نعمة الحياة اعطيتني اياها فصرت موجودا بعد ان كنت في وقت من الاوقات شيء لست بمذكور، كنت عَدَمًا فأنعمت عليّ بأن اخرجتني الى هذه الحياة ضمن أسرة مؤمنة، موحدة، متدينة، رعتني تلك الاسرة وحافظت عليّ إلى ان بلغت مبالغ الرجال، هديتني ووفقتني وسهلت الي المطالب.

أنعمت علي بما حولي من نعم الطبيعة فهذا الهواء الذي اتنفسه و لم يكن لي اي جهد فيه، وانما هي نعمتك يارب علي ولم ادفع فيه شيئا ولا ثمنا، ولم اسعى اليه وانما هو نعمة مفاضة منك علي، يا رب هذه الشمس التي تشرق علي في كل يوم لكي تغمرني بالضياء و لكي تساعد بدني على النمو ولكي تنمي النباتات التي آكلها واستطعمها ولكي تستمر الحياه في هذا الكون ويعود مردود ذلك اليّ. يا رب .. اعطيتني الصحة والعافية، انعمت علي بالمال، سهلت لي سبل الرزق، ثم ما دفعت عني من الضر والضراء اكبر مما ظهر لي من العافيه والرخاء.

تأملوا أيها الاخوة في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة الذي بدأ يعدد فيه النعم نعمة نعمة، حتى اذا ببلاغة كلامه احاط بالكثير، لكنه بعد ذلك وهو البليغ و المحيط بتلك النعم، وهو الواعي العارف بها، اعترف بعدم قدرته على تعداد هذه النعم، تماما كما قال الله تعالى (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ذلك ان النعم قسم منها ظاهرة وقسم منها باطنة، وقسم منها مباشرة وقسم منها غير مباشرة، قسم منها اتعرف عليها وقسم

منها اتأثر بها من دون ان اتعرف عليها؛ لذلك يوجز الدعاء بعد هذا الكلام ... هذه النعم التي قلتها و تلك النعم التي لم اقلها، تلك النعم المباشرة والاخرى غير المباشرة، تلك النعم الظاهرة والاخرى الباطنة، انا لا استطيع ان اعددها حتى احمدك يا ربي و اشكرك يا ربي على كل نعمه من هذه النعم .. لذلك اقول: "الحَمْدُ للهِ بِجَمِيعِ مَحامِدِهِ كُلِّها عَلى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها" كل ما يتصور من اصناف المدح والحمد والثناء، سواء منه اللفظي او العملي او حتى القلبي، فإن حركة القلب ايضا من دون ان يتحرك اللسان عندما يستحضر الانسان مدى نعمة الله فيبخع في نفسه ويقر في داخل قلبه بأن الله واسع النعمة و عظيم النعمة ومتطول على العباد، عندما يتحرك قلبه بذلك هذا حمد قلبي و شكر قلبي وثناء قلبي، اضافة الى الحمد والثناء اللفظي كما هو الحال في هذا الدعاء، هناك ايضا شكر عملي وحمد عملي عندما يلتزم الانسان بما اوجبه الله عليه، وبما الزمه من الفرائض.

"الحَمْدُ للهِ بِجَمِيعِ مَحامِدِهِ كُلِّها عَلى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها. الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا مُضادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلامُنازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلاشَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ "

كانت الفقرة السابقة "الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً" تتكلم عن استغناء الله تعالى حتى عن المنسجمين معه، هناك قسم آخر وهو المنازع والمضاد. هذا قد يعارض الانسان مثلا في اموره و يعيق حركته، الدعاء يقول: الله سبحانه و تعالى منزه عن الشريك وعن الولد وعن الصاحبة الذين يفترض ان يكون دورهم ايجابيا بالنسبة لي المحتاج، ومنزه ايضا عن وجود المضاد والمعاند والمنافس، الله له الملك وحده لا شريك له حتى يحتاج الى معونته، ولا منازع له حتى يغير ما يريده الله سبحانه وتعالى، او يضاده فيما صنع، لا شريك فيرفده فيما ابتدع ولا مضاد في مصنع، وانما الله سبحانه وتعالى يتصرف في هذا الكون بإرادته من غير حاجة الى احد ومن غير منازعة من احد .

في بعض الروايات التي تفسر الاية المباركة في نفخة الصور ورد في الحديث ان الله سبحانه وتعالى عندما ينفخ نفخة الاماته (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّه) الجميع بعد تلك النفخة يموتون، تصور ان ترليونات الاحياء الدقيقة و المجهرية والكبيرة، وما في البحار ومن في البحار، وما في الارض ومن في الارض، وما في السماء ومن في السماء، كل أولئك يصعقون بنفخة واحدة الا بعض الملائكة .. وهؤلاء ايضا بدورهم في الاخير يموتون بامر الله سبحانه و تعالى .. آنئذ ينادي الله سبحانه و تعالى - كما في الرواية وقد فُني الجميع حيث لا حياة ولا احياء، و لا وجود ولا موجودات - لمن الملك اليوم؟ فلا احد يجيب، فيجيب الله نفسه ويقول: لله الواحد القهار. لا يوجد احد حتى يجيب، ولا يوجد مخلوق، ولا يوجد من عند الله لا شريك ولا مضاد ولا منازع ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

"الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا مُضادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلامُنازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ"

لماذا يُحتاج الى الشريك؟ وجود الشريك يدل على ان هذا الواحد لا يستطيع القيام بكل الامور بمفرده فيحتاج الى الشريك، والله سبحانه وتعالى هو المتصرف وهو القادر. "الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلاشَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ، الحَمْدُ للهِ الفاشِي فِي الخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ" امر الله يسري ويفشو ويتوغل في جميع الخلائق على حد سواء، بل وفي اكمل مخلوق وهو رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - يفشو فيه ويتوغل فيه امر الله سبحانه و تعالى، و اصغر مخلوق واحقر مخلوق يتوغل فيه امر الله، و يخضعه لإرادته ولأمره. " الحَمْدُ للهِ الظاهِرِ بالكَرَمِ مَجْدُهُ، الباسِطِ بالجُودِ يَدَهُ، الَّذِي لاتَنْقُصُ خَزائِنُهُ، وَلايَزِيدُهُ كَثْرَةُ العَطاءِ إلاّ جُوداً وَكَرَما، إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الوَهَّابُ " وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

10. التوبة .. طريق للفلاح

(كتابة الفاضلة: فاطمة / تدقيق الفاضل: عبد العزيز العباد)

نستكمل بمشيئة الله تعالى شرحنا لبعض فقرات دعاء الافتتاح فقد جاء فيه:

(اَللّهُمَّ إن عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبي، وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطيئَتي، وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمي وَسِتْرَكَ عَنْ قَبيحِ عَمَلي، وَحِلْمَكَ عَنْ كَثيرِ جُرْمي، عِنْدَ ما كانَ مِنْ خَطئي وَعَمْدي، أطمعني في إن أسألك ما لا اَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، الَّذي رَزَقْتَني مِنْ رَحْمَتِكَ، وَاَرَيْتَني مَنْ قُدْرَتِكَ، وَعَرَّفْتَني مِنْ إجابتك، فَصِرْتُ اَدْعُوكَ آمِناً، وَاَسْاَلُكَ مُسْتَأنِساً، لا خائِفاً وَلا وَجِلاً، مُدِلاًّ عَلَيْكَ فيما قَصَدْتُ فيهِ إليك، فَإنْ أبطأ عَنّي عَتَبْتُ بِجَهْلي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذي أبطأ عَنّي هُوَ خَيْرٌ لي لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الأمور)

هذه الفقرات والكلمات الرائعة التي تصور حالة التوبة من الله على العبد وقبول الله لتوبة العبد، تلامس شغاف القلب وتستثير في الإنسان كوامن الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

(يا رب)

إقبالك علي وأنا غير مستحق، تجاوزك عني وأنا المسيء المذنب، عفوك عني وأنا المخطئ،كل ذلك شوقني وأطمعني إلى أن أطلب منك وأنا غير مستحقاً لذلك الطلب، أطمعني في أن أسألك مالا أستوجبه منك - ليس لي في ذلك حقاً ولا يجب عليك يا ربي تجاهي أي شيء - لكن إقبالك عليّ، تجاوزك عن ذنبي بل توفيقك إياي إلى التوبة، جعلني أتحرك وأطمح بل أطمع في أن أسألك خير الآخرة وأن أطلب منك الجنة وأن أسألك أيضاً خير الدنيا مع أنني لا أستحق أيّ منهما بحسب الموقف الذي أقف فيه.

باب مفتوح وهو توفيق

التوبة لا تتيسر للكثير إلا بلطف من الله سبحانه وتعالى الذي يقول (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ) هي توفيق من الله هي هداية من الله هي أخذ هذا القلب العاصي من محطة عصيانه إلى سمو إنابته إلى ربه.

والتوبة - أيها الإخوة أيتها الأخوات - لا تختص بموسم دون موسم وإن كان موسم شهر رمضان المبارك هو أفضل المواسم لما يحتويه من إمكانيات هائلة في تأثر هذا الإنسان بهذه الأجواء وبتنعمه بما يحتويه شهر رمضان من فرصة طيبة للإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، لكن التوبة ليست محصورة به – أي بشهر رمضان - فإن التوبة والإنابة ليس لها وقت معين كل الأوقات قابلة للتوبة - أنا وأنتَ أيها الأخ المؤمن وأنتِ أيتها الأخت المؤمنة - في لحظتنا هذه ينبغي أن نستذكر شريط ذنوبنا وأن نمرره بين أعيننا وأن نفكر في مواقفنا تجاه ربنا حتى نخاطبه بقلوبنا (أستغفر الله ربي وأتوب إليه) و (أستغفر الله من كل ذنب وأتوب إليه) الآن في هذه اللحظة - أنا وأنتَ أيها الأخ المؤمن وأنتِ أيتها الأخت المؤمنة - لنجدد توبتنا لتكون توبة نصوحة إلى الله سبحانه وتعالى.

فإن من فضل الله وكرمه سبحانه وتعالى أنه يستقبل توبة الإنسان متى ما حدثت لا يوجد وقت محدد ورسمي يقبل فيه الطلب في ذلك الوقت ويرفض في سائر الأوقات، ولا يوجد مكاناً معيناً ومعبداً خاصاً لكي يقدم فيه الإنسان توبته وأوبته.

في كل مكان يستطيع الإنسان أن يقدم توبته وإنابته وأوبته إلى الله تعالى، ولا يشترط حالاً من الأحوال ولا تحتاج الطهارة بمعنى أنك أيها الإنسان التائب لا تحتاج إلى أن تكون على وضوء ولا على غسل لكي تتوب التوبة، بل تستطيعها وأستطيعها في كل وقت وضمن أي ظرف وفي كل مكان.

وردفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله (من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال: إنّ السنة لكثيرة – أي الذي يتوب قبل سنة من وفاته يتوب الله عليه - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: إنّ الشهر لكثير، ثم قال: من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه وإنّ اليوم لكثير، ثم قال: من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه وإنّ الساعة لكثير، ثم قال: من تاب وقد صعدت هذه -وأشار إلى نفسه وحلقه- تاب الله عليه).

سارعوا إلى مغفرة من ربكم.. قبل حلول آجالكم

المشكلة أنّ قسماً من الناس يؤجلون فيقولون بعد سنة أو يقولون بعد يوم أتوب إلى ربي، فما يدريك أيها الإنسان أنك سوف تبقى إلى ذلك اليوم أو إلى تلك الفترة لعل الموت قد سبقك من دون أن تتوب إلى الله سبحانه وتعالى، فتُب من الآن وعقيب كل تقصير قل من داخل قلبك ودع جوارحك تتحدث (أستغفر الله ربي وأتوب إليه) هذا إذا تاب الإنسان توبة نصوحة .

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : (إذا تاب العبد توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه)

هل تريد أن تكون محبوب الله؟ وحبيب الله؟ فتب توبة نصوحة ولنتب إلى الله لنكن أحباء الله وأوداءه.

إذا تاب العبد إلى ربه توبة نصوحة أحبه الله فستر عليه، قيل يا أبا عبد الله وكيف يستر الله عليه؟ - لأنه المشكلة أنّ الإنسان لو عصى ربه ووقف موقفاً على رؤوس الإشهاد يوم القيامة ورأى وجه رسول الله منيراً ورأى وجهه متكدراً بظلمات الذنوب كيف يستطيع أن ينظر في وجه رسول الله وفي وجه المعصومين عليهم السلام وفي وجه الأولياء والصالحين والعلماء والشهداء فهو يحتاج إلى ستر- لذلك سألوا الإمام كيف يستر الله عليه؟ انظروا إلى رحمة الله تعالى انظروا إلى عفو الله انظروا إلى تجاوز الله، قال: ينسي ملكيهما ما كان يكتب عليه - فالملكان المقربان ينسيان - ثم يوحي إلى جوارحه التي هي أيضاً من الشهود على الإنسان ثم يوحي إلى بقاع الأرض وهي أيضاً من الشهود على الإنسان يوم القيامة أن اكتمي عليه ذنوبه فتكتم الجوارح وبقاع الأرض فيلقى الله حين يلقاه وليس عليه شيء يشهد عليه بذنوبه هذا إذا تاب الإنسان إلى الله تعالى توبة نصوحا.

اللهم أن عفوك عن ذنبي وتجاوزك عن خطيئتي، توبتك علي يا رب إلى هذا المقدار الذي تنسي فيه الملكين اللذان يحصيان علي عملي، وتنسي فيه جوارحي التي يفترض أنها ستشهد علي، وتنسي فيه المكان والزمان الذي كان سيشهد علي، هذا لطفاً عظيماً منك يا رب، هذه نعمة كبيرة منك، أطمأنتني ورغبتني في أن أسألك مالا أستوجبه منك اللهم أنك رحيم وغفور وتواب أعطيتني فوق ما أستحق فتمم علي وعلى المؤمنين نعمائك يا رب العالمين وصل الله على محمد وآله.

11. الشكر للنعم وسيلة للكمال

(تحرير الأختين: حنان الهواشم وزهراء تريك)

الحمدلله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرفِ الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

جاء في دعاء الإفتتاح هذه الضراعة من قبل الداعي إلى ربِّه :

"اللّهُمَّ إنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِي، وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي، وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي، وَسَتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي، وَحِلْمَكَ عَنْ كَثِيرِ جُرْمِي عِنْدَما كانَ مِنْ خَطَأي وَعَمْدِي، أَطْمَعَنِي فِي أَنْ أَسْأَلَكَ ما لا اسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ الَّذِي رَزَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَرَيْتَنِي مِنْ قُدْرَتِكَ، وَعَرَّفْتَنِي مِنْ إجابَتِكَ، فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِناً، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِساً، لاخائِفاً وَلا وَجِلاً، مُدِلاً عَلَيْكَ فِيما قَصَدْتُ فِيهِ إلَيْكَ، فَإنْ أَبْطاء عَنِّي عَتِبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَاءَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الاُمُورِ، فَلَمْ أَرَ مَوْلىً كَرِيماً أَصْبَرَ على عبْدٍ لَئِيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يارَبِّ، إنَّكَ تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي وَالاِحْسانِ إلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَأَرْحَمْ عَبْدَكَ الجاهِلَ، وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إحْسانِكَ إنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ "

هذا المقطعُ الشريفُ من الدُّعاء ، يُخَاطبُ فيه الداعي ربَّه مبينًا قضية ، ذكرها علماؤنا وهي :

هل أنَّ عطاءَ اللهِ وثوابه هو تفضُّل من اللهِ أو استحقاق للعبد ؟ !

هناك رأيٌّ عند كثيرٍ من علماءِنا ، أنَّ ثواب اللهِ هو تَفَضُّلٌ من الله سبحانه وتعالى ، ومن دونِ أنْ يكونَ للعبدِ حق المطالبة بذلك الثواب في ذلك المقدار . ويذكرون أنَّ إمكانية المطالبة متفرعة عن نوعِ تعاقدٍ بين طرفين ، ولا يوجد هناك تعاقد بين اللهِ وعبدهِ ، وإنما يوجد عِدَةٌ من اللهِ أنَّه سيعطيهِ لو أَطاع ، على أنَّ نفسَ طاعة العبدِ هو توفيقٌ من اللهِ ونِعْمةٌ بذاتها تستوجبُ طاعة أخرى وتستدعي حمدًا آخر ، وتستدعي شكرًا آخر ، كما ورد في كثير من المقامات ، منها مارُويَّ عن الإمام زين العابدين عليه السلام ، الذي قال " فَكُلَّما قُلْتُ لَكَ الْحَمْدُ وَجَبَ لِذلِكَ اَنْ اَقُولَ لَكَ الْحَمْدُ "

إن تحركَ العبد باتجاه ربِّه في عبادَتهِ هو توفيق ربانيٌّ ، وبالتالي هذا التوفيق يستدعي شكرًا وحمدًا من قِبَل المخلوق .

ولعل في الدعاء إشارة لهذا المعنى .. في قول الدّاعي : " إنَّ عفوك عن ذنبي وتجاوزك عن خطيئتي وصفحك عن كثير ظلمي ..." ، عفوك عن ذنبي في الآخرة وتجاوزك عنها ، خطيئتي تلك التي ربما كان لها آثار دنيوية ، كأن تَسْلُب الخطيئة من الإنسان توفيقه في الحياة ونجاحه .

تجاوزك ياربِّ عن هذه الخطيئة ومحوك آثارها وسترك على قبيح عملي ، بينما كنتُ معرضًا لأن أكون مكشوفًا بين الخلائق ، أنت يارب سترت علي ، وفي مقابل ذلك نشرتَ عنِّي السُمعة الحسنة والثناء الجميل " وَكَمْ مِنْ ثَناءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ "

وكم من سيئة ومعصية عملتها أنا ، وسترتها أنت عن الخلائق ، كلُّ ذلك من نعمك عليَّ ، جعلني أطلب وأطمع مالا أستوجبه منك من الرزق الكثير ، والذرية الطيبة ، والجنة ونعيمها ، وهذه كلَّها لم أكن مستوجبًا لها ، ولو حصلت لي فإنها من تفضلك عليّ . وهكذا ياربّ أعطيتني عطايا متعددة وتفضلت بالنِعَم ورزقتني من رحمتك ، وكشفت عنّي الشدائد والأزمات والأمراض والمشاكل ، كلُّ ذلك بقدرتك . فقد أريتني قدرتك ياربّ في دفع هذه الإبتلاءات ودفع الأمراض عني ، وفي كل ذلك قدرتك الكاملة ، وفوق كلِّ هذا وذاك فقد رزقتني من إجابتك .. كلُّ هذا جعلني "أدعوك آمنًا ،وأسألك مستأنسًا لا خائفًا ولا وجلاً " .. لا خوف عندي فإذا كنت أخاف من البشر – عندما أطلب منهم حاجتي – أن يجبهوني وأن يردوني ويهينوني وأن لا يلبّوا طلبتي ، وأخاف أن ينشروا عني مالا أُحب ، فيُكَلِفوني مالا أُطيق ..

ياربّ أنا أدعوك في كلِّ وقت وكلِّ زمان ومتى شئتُ وأنَّي شئتُ آمنًا لا خوف ولا حزن يغمرني ، لأنني واثق من إجابتك "وأسألك مستأنسًا" لا وحدة ولا وحشة عندي في قلبي ، وإنّما اطلبُ منك حاجتي بدون تردد ومن دون خوف "لاخائفًا ولا وجلاً" بل أكثر من ذلك وأنا أكون في حالة الإدلال عليك ياربّ ، وأنا لا استحق هذه المنزلة ، إنّما يتدلل المتدلل وإنّما تكون له دالة على أحد إذا كانت يده طولى بالنسبة اليه ، أمَّا اذا كان مثلي ممن هو عاص ، ممن هو مذنب فلا ينبغي أن يتدلل على ربِّه ، ولكني مع ذلك لمَّا وفَّرت لي من الأمن والإستئناس و أمطتَ عني الخوف والوجل مع عملي القليل وجهدي البسيط صرتُ أنا "مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك " ثم ياربّ لم أكتفِ بذلك بل كانت العلاقة علاقة منعكسة ، فالمفروض أن أطلبكَ وأتودّدُ إليك وأتقرب إليك لأنني طالب الحاجة وأنا الضعيف وأنا الفقير وأنا المسكين ، ولكن – انظروا أيها الأخوة – كيف انقلبت المعادلة ؟! صار الغنيُّ "المستغني" هو الطالب ، وصار المنعِم هو المتودّد " إنك تدعوني فأولي عنك وتتحبّب إليّ فأتبغض إليك كأنّ لي التطوّل عليك " .. أليست علاقة معكوسة ؟! المطلوب : أنا أدعو الله وأنا أطلب من الله ، وأنا أتودّدُ الى الله وأنا أتضرع الى الله !..

قال تعالى : " قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ "

الفضل من عندك – ياربّ – والنعمة منك – والإحسان من طرفك ، مع كل تقصيري وإعراضي .. " فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إليّ ، والتفضُّل عليَّ بجودك وكرمك ، فارحمْ عبدك الجاهل وجُدْ عليه بفضلِ إحسانك إنك جواد كريم "

وصل اللهُ على محمد وآل محمدٍ الطيبين الطاهرين .

12. التقدير الالهي بين الجهل والرضا

(تحرير الفاضلة: فاطمة الخويلدي / تدقيق الفاضل: عبد العزيز العباد)

جاء في بعض فقرات دعاء الافتتاح:

(فَإِنْ اَبْطأَ عَنّي عَتَبْتُ بِجَهْلي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذي اَبْطأَ عَنّي هُوَ خَيْرٌ لي لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الأُمُورِ، فَلَمْ اَرَ مَوْلاً كَريماً اَصْبَرَ عَلى عَبْد لَئيم مِنْكَ عَلَيَّ يا رَبِّ، اِنَّكَ تَدْعُوني فَاُوَلّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ اِلَيَّ فَاَتَبَغَّضُ اِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ اِلَيَّ فَلا اَقْبَلُ مِنْكَ، كَاَنَّ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لي، وَالاحسانِ اِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ اِحْسانِكَ اِنَّكَ جَوادٌ كَريمٌ، اَلْحَمْدُ للهِ مالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّياحِ، فالِقِ الاْصْباحِ، دَيّانِ الدّينِ رَبِّ الْعَالَمينَ)

استعجال الإنسان الإجابة

هذه الفقرات الواردة في دعاء الافتتاح تستكمل الحديث في فقرته الأولى عن حكمة الله تعالى وعن جهل هذا العبد الداعي وذلك إنّ استجابة الله سبحانه وتعالى لعبده في قضاياه لا تخرج عن سبيل الحكمة، بينما يتعجل هذا الإنسان استجابة أغراضه بغض النظر عن سائر الامور الأخرى، هذا الإنسان عجول فهو يلاحظ جانبه الذاتي من غير أن يلاحظ سائر الموارد الجوانب الأخرى يطلب اليوم من الله تعالى المال، ويريد أن يحصل عليه بأي طريقة وبسرعة، حتى إذا تأخرت استجابة الله تعالى له عتب بجهله على الله واحتج .

لماذا لم يستجب لي ربي في أن يرزقني مالاً؟ .. لماذا لم يستجب لي ربي في أن يرزقني عافية؟ .. لماذا لم يستجب لي ربي في أن يملكني بيتاً أو في أن يزوجني زوجةً أو في أن يرزقني أولاداً أو في أن يعطيني جاهاً؟ .. لماذا لا يكون ذلك على الفور وبسرعة؟

الله أعلم بحالك أيها الإنسان

في الواقع قد يكون تأخير هذه المطالب لمصلحة الإنسان نفسه، لكن هذا الإنسان لما لم يكن يرى أبعد من أرنبة أنفه ولا ينظر للمستقبل ولا يفكر في جميع الجوانب كان يصر على مطلبه مهما كانت النتائج.

لقد نقلوا أن رجلاً – يسمى ثعلبة - أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان رجلاً فقيراً من أهل الصّفة، وكان يصلي مع رسول الله صلاة الجماعة في أوقاتها المختلفة، ويحضر مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله في السلم والحرب، ولكنه كان فقيراً لا يملك شيئاً فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله ادعوا الله أن يرزقني مالاً - رسول

الله يعرف مقدار استيعاب هذا الإنسان فإنّ مِن الناس مَن لا يصلحه الغنى وإنّ مِن الناس مَن يفسده الفقر - فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ثعلبة اتقِ الله وأحسن – أي لا تطلب هذا الأمر كأنه يريد أن يقول له ضمن هذه النفسية والشخصية التي أنت عليها لا ينفعك الغنى - فسكت عنه، وأعاد عليه ثعلبة القول مرة أخرى، فكان الجواب نفس السابق، وأعاد عليه مرة ثالثة بإلحاح فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أفعل، اللهم أرزق ثعلبة مالاً)

فحصل ثعلبة على غنمة وبدأ بالتجارة وظل يضارب فيها ويشتري ويبيع ويربي ويستولد إلى أن خرج من الصّفة إلى مكان آخر ثم إلى مكان آخر أكبر وأوسع حتى كثرت أغنامه، فخرج إلى خارج المدينة لأنه أقرب للمرعى، وفي هذه الأثناء انقطع بطبيعة الحال

عن بعض صلوات الجماعة لكي يداري غنمه وأمواله، ثم انقطع عن جميع الصلوات، فنزلت فيما بعد آية الزكاة، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله خلفه جابي الزكاة والصدقة كما أرسل لغيره إلى غيره من الناس فرفض ذلك، وقال إن هي إلا جزية فأفهمه الجابي أنّ هذا ليس شيئاً خاصاً بك، وإنما آيات من القرآن نزلت وأنّ غيرك قد أعطى خير ما عنده من المال، فلم يفعل ثعلبة ذلك وقال للجابي: إن رجعت مُر عليّ حتى اعطيك، فعمد إلى أسوأ غنمه فاختار منها العرجاء والمكسورة والعمياء وهكذا المريضة اختارها كلها ليعطيها إلى جابي الزكاة.

لعل الذي أبطأ عن هذا الشخص من الغنى والمال كان خيراً له في دينه وفي أخلاقه وكان خيراً له في قلبه لكن هذا الإنسان يتعجل النتائج .

يريد أن يصل إلى الامور من زاوية واحدة وبإلحاح، إذا كان يحتاج إلى حاجة فلا ينظر إلى غيرها أبداً يريد أن تتحقق على الفور حتى إذا طلب ذلك من الله ولم يستجب له تمرد وتجرأ وقال كلاماً لا ينفع واعتقد اعتقاداً لا ينفع.

لماذا يؤخر الله عني ذلك؟ ما هو السبب؟

لماذا اختارني من بين الناس لكي يبتليني بكذا وكذا؟

القاعدة تقول (وَلَعَلَّ الَّذي اَبْطأَ عَنّي هُوَ خَيْرٌ لي) لماذا ؟ (لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الأُمُورِ) أنا لا أعرف النتائج بدقة أنا لا ألحظ الصورة كاملة، فلعل جوانب خفية تؤثر في هذه النتيجة وأنا لا أراها لعلمك بعاقبة الأمور، ومع هذا أنا أعتب عليك يا رب أواجهك فيما لا ينبغي وأنت في المقابل تتفضل حتى الذي تؤخره عني هو نعمة عليّ أنت تؤخر عني هذا المطلب لأنه يفسدني، إنه يفسد أخلاقي ويفسد ديني ويفسد حياتي الاجتماعية ويفسد علاقاتي مع الناس، ولكنني لا أقبل بذلك (فَلَمْ اَرَ مَوْلاً كَريماً اَصْبَرَ عَلى عَبْد لَئيم مِنْكَ عَلَيَّ يا رَبِّ) إنك

تدعوني وتوجّه لي الدعوة وتتحبب إليّ وتتودد إلّي وتتابع علي النعم لكني في المقابل أتبغض منك.

كيف يتبغض العبد إلى ربه؟

عندما أقوم بما يغضبك عندما اقارف المعاصي عندما لا استجيب لنداءاتك، فهذا يكون سبباً لغضبك عليّ وبغضك لي، (فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجاهِلَ) أنا أعترف يا رب أني في كُل ذلك جاهلٌ غير عارف بما يصلحني وما يفسدني، أنا جاهل غير حكيم أنت أحكم الحكماء فارحمني، ارحم عبدك الجاهل فهل يرحم الجاهل إلا العالم وهل يرحم الضعيف إلا القوي، (فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ اِحْسانِكَ اِنَّكَ جَوادٌ كَريمٌ،(

بعد ذلك تتعرض هذه الفقرة من دعاء الإفتتاح إلى توجيه الإنسان لبعض مظاهر عظمة الله في الكون :

(اَلْحَمْدُ للهِ مالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّياحِ، فالِقِ الْاِصْباحِ، دَيّانِ الدّينِ رَبِّ الْعَالَمينَ)

الحمد لله مالك الملك كل الحمد لله جنس الحمد لله طبيعة الحمد لله كمال الحمد لله تعالى الحمد لله مالك الملك، الملك هو بيد الله تعالى يرفع ملوكاً، يضع آخرين، يستخلف أُناساً، يستبعد آخرين، وهكذا هو الذي يتحكم عن طريق سننه، بالطبع ليس الامر أمراً غيبياً مطلقاً وإنما هو خاضع لسنن، هذه السنن وضعها ربنا سبحانه وتعالى فهو مالك السنن وتلك السنن هي التي تستبعد هذا وتستقرب ذاك.

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) الملك كله بيد الله مَلّكَنا للأشياء، ايضاً هو في طول ملك الله تعالى لنا ولتلك الأشياء فالمالك الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، له الملك وما احتويه أنا وما أسيطر عليه وما هو في حيازتي ليس هو الا مُلكاً اعتبارياً مؤقتاً زائلاً لا استطيع حمايته للأخير

ولا يخلد عندي إنما ينتقل هذا الشيئ المملوك مني لغيري ولولا ذلك لما وصل إليّ المالك الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.

يُوجّه الدعاء الإنسان إلى التدبر والتأمل في صفات الله تعالى وهي مظاهر عظمته وقدرته في هذا الكون.

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا في جميع أمورنا إنه على كل شيئ قدرير.

13. مظاهر الحياة وقفة للتأمل

(تحرير الفاضلة: سلمى آل حمود)

جاء في دُعاء الافتتاح (الحَمْدُ للهِ مالِكِ المُلْكِ، مُجْرِي الفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّياحِ، فالِقِ الإِصْباحِ، دَيّانِ الدِّينِ، رَبِّ العالَمِينَ. الحَمْدُ للهِ عَلى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالحَمْدُ للهِ عَلى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَالحَمْدُ للهِ عَلى طُولِ أَناتِهِ فِي غَضَبِهِ، وَهُوَ قادِرٌ عَلى ما يُرِيدُ)

هذه الفقرة تستعرض بعض مظاهر عَظمة الله سبحانه وتعالى في الكون، وتُوجه بتبع ذلك الإنسانْ الدّاعي إلى التأمل في هذه المظاهرْ (الحَمْدُ للهِ مالِكِ المُلْكِ)، فالناس في مستويات محدودة يمتلكون، فيمتلك الإنسان بيتاً، يمتلك مالاً، ويحوز أشياءٌ يشتريها، هذا نوع من أنواع المُلك والمُلكيّة، ولكن هذا التملُّك تعتريه الشوائِب والنواقص فهو غيرُ باقٍ وغيرُ دائمٍ وغير حقيقي. بينما مُلك الله عزّ وجل لمنْ عداه هو مُلكٌ حقيقيٌ دائم لا ينفك أبداً، ولا يُتصور في لحظة أنّه قد حصَل الانفصال بين مُلك الله لخلقه، هذه العلاقة لا يمكن أن يُتصور انقطاعها و انفصالها في أيّ لحظة من اللحظات، بينما يُمكن التصور في ذلك بنحوٍ اعتيادي في تملك الإنسان للأشياء، فالمالك الحقيقي هو الله سُبحانه وتعالى المالك للمالكين.

هُناك عالمَان يتحدّث عنهما عُلماءُنا وهما: عالم المُلك وعالمْ الملكوت، عالم الملكوتْ هو أعظم و أكبرْ من عالم المُلك ولذا تحدّث عنه القرآن الكريم فقال عزّ وجلْ " قلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ" لا شك أنّه الله سُبحانه وتعالى، فالله هو مالك المُلك وهذا من مظاهر عظمته ومظاهر قُدرته التي ينبغي أنْ يُفكر فيها الإنسان التي يستجليْ مظاهر تلك العظمة ولكي يُفكر في تلك القُدرة فيخضع لها ويعبد الله تعالى حقّ عبادته على أثر هذه المعرفة .

(مُجْرِي الفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّياحِ) وفي الفقرة التي تليها (خالِقِ الخَلْقِ باسِطِ الرِّزْقِ)، فهذه من مظاهر القُدرة الإلهية فتصور أنّ الله سبحانه وتعالى كيف خلَق هذه الخلائق، فصحيحٌ أننا نؤمنْ بأنّه قال لكل شيء ويُنفق من تلك الخزائنْ التي لا تنفد في الخلق والإنشاء والإبداع لأنها ليستْ خزينة مُحدّدة وإنما هي كما يُعبرون (يا منْ أمره و خلقه بين الكاف والنون) بمجرد أن يلحظ الله سُبحانه وتعالى شيئاً، ولا يغيب عنه شيء فإنّه تخلّق فوراً من دون أن تخللْ فاصلة. تصور أنّ جميع المخلوقات على مُستوى الإنسان منذ أنْ خلَقَ الله الخلق و إلى أن تقوم الساعة، كم من المليارات مرّتْ بهذه الأرض وهذا الكون من البشَر، بلْ كم منْ الترليونات ستمرْ إلى أنْ تقومْ الساعة، فإذا تركت هذا الجانبْ فخُذ عالم الحيوانْ بشتى أنافها ودراجتها، وكم منْ أعداد للحيواناتْ خُلقتْ وهي مخلوقة الآن وستخلق في المُستقبل؟ ستعجز عن الإحصاء بلْ ستعجز عن التصور.

فلنذهب إلى ناحية الحشراتْ لكي ترى شيئاً هائلاً لا تستطيع إحصاءه، فالحشرات في منطقة واحدة، في مُنطقة حشرية واحدة، في زَمنْ واحدْ، فكيف تستطيع وكيف أستطيع أنا وكيف يستطيع الخلائق أنْ يُحصوا عالم الحشرات. فلنذهبْ إلى غير ذلك، وهي مملكة الأحياء الدقيقة التي قد يجتمع في كُل ملمتر واحد مليارات منها و لا تُرى بالعين المُجردة، سبحان الله، الحمد لله الله، الله أكبر الله. ما هذا الكون؟ ما هذا الخلق؟ ما هذه القُدرة؟ ثمّ أنّ كل شيء في هذه الخلائق وكل مخلوق في هذه الخلائق من إنسان وحيوان ونبات و حشرات وأحياءٍ دقيقة نجدها في قوله تعالى "مَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا" فالحمد لله خالق الخلق في جهة وهي جهةٌ بالغة العظمة، ولكن في الجهة الأخرى أنْ يتكفل الله سُبحانه وتعالى برزق كل ما خلق ومن خلق على كثرة عددهم، على انتشار مناطقهم فهذا مظهرٌ عظيم من مظاهر القُدرة.

الحمدُ لله خالق الخلق ، الحمد لله باسط الرزق، الحمد لله الذي أنعم نعماً ظاهرة و أخرى باطنة، ولم يترك دابة إلا وهو يعلم مُستقرّها ومُستودعها، وبدايتها، ونهايتها، وبرنامج رزقُها لذلك دبّرها في هذه الحياة. ألا يستحث خالقٌ، مدبرٌ، رازقٌ هذا الثناء وهذا الحمد؟ الله سُبحانه وتعالى له الحمدُ كله بجميع محامده على جميع نعمه في كل مظاهر قدرته في كل أنحاء عظمته.

(مُسَخِّرِ الرِّياحِ، فالِقِ الإِصْباحِ) كمثال على ذلك: هذه الريح التي تهب ريثاً تارةً فتنعش هذا الإنسانْ في بدنه وتجعل الحياة بين يديه رائعة لذيذة حتى إذا تغيرت الريح وصار الجو بشكلٍ آخر، فإنّ تلك الريح وذلك الهواء كان يهبُّ نسيماً عليلاً بارداً مُنعشاً، فبمجرد تغيير طفيف و إذا بالإنسان لا يستطيع أنْ يخرج إلى الفضاء، فهذه الريح التي بهذا المُستوى وفي درجةٍ بمستوىً آخر تصبح صرصراً عاتية تُدمّر فلا تُبقي شيئاً، فتصنع السيولْ والأعاصيرْ و إذا بكُل ما بناه هذا الإنسان يُدَمّر على أثرْ حركة من حركاتْ الريح، وفي درجة من الدرجات (مسخّر الرياح) فإذا بها تنقلُ حبوب اللقاح من شجرة إلى شجرَة، ومن نبتة إلى نبتة فإذا بالأرض قد زهتْ و أنبتت و أثمرتْ واستفادَ منها هذا الإنسان. هذه الرياح و بدرجة من الدرجاتْ تحمِل سحاباً كقوله تعالى "فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ" حتى و إذا بذلك الجفاف والتصحر وذلك الموتْ قد تُحولَ بحمل الريح، الماء، والبخار إلى بلدٍ آخر. فذلك البلدْ كان ميتاً و إذا بالله تعالى يُحييه، وفي ذلك آيةً على إحياء الموتمن جهة وعلى عظمة وقدرة الله عزّ وجل من جهة أخرى.

(فالِق الإصباحْ) ففي قوله تعالى " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" نجدْ أنّ الإشكال يكمنْ فينا أيها الأخوة، ففي تكرار الليل والنهار، وطلوع الشمس وغروبها باستمرار قد أبعد عنّا التأمل. فكّر: ماذا لو أنّ الله سُبحانه وتعالى خلَقَ الكونْ بشكلٍ يكون لا نورَ فيه ولا ضياءَ فيه، ولم يُحرّك الأرض بنحوٍ مُعين، ولم يُحرك القمر بنحوٍ معين، لم يُحرك المجموعة الشمسية بنحوٍ معين، أيّ يُصبح الليلُ سرمداً، ويكون الظلام مُطبقاً، أفكرت أخي المؤمنْ كيف ستكون الحياة آن إذن؟ هل ستقوم حضارة؟ هل سيعيش الإنسانُ في راحة؟ الله سُبحانه وتعالى هو الذي جَعَل في الكون سنّة بحث ينفلق الصباح في كل يوم حتى تغدو لرزقك، وحتى تخرج الكائنات لرزقها وحتى يبلغ الله بالعباد أمراً هو بالغه. ديّان الدين رب العالمين هذا هو الله سبحانه وتعالى، فعظمته لا تقتصر على الجانب التكويني بل على الجانب التشريعي، فتتجلى حمة الله . هو ديّان الدين، ومشرعٌ لهذا الدين في أعظم ما يُمكن أنْ يشرّع لسعادة هذا الإنسانْ.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لذكره وشكره، ولعبادته وطاعته و أنْ يُكرمنا بجنّته إنّه على كل شيءٍ قدير و بالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين أفضل الصلاة والتسليم.

14. وقفة مع التسامح والمغفرة الالهية

(تحرير الفاضلة: سلمى آل حمود)

بسْــمِاللَّهِالرَّحْمَنالرَّحِيــمِ والصَلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرينْ
جاء في دُعاء الافتتاح هذه الفقرات: (الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادِلُهُ، وَلا شَبِيهٌ يُشاكِلُهُ، وَلا ظَهِيرٌ يُعاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الاَعِزَّاءَ، وَتَواضَعَ لِعَظَمَتِهِ العُظَماءُ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مايَشاءُ. الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ، وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وأَنا أَعْصِيهِ، وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلا أُجازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطانِي، وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفانِي، وَبَهْجَةٍ مونِقَةٍ قَدْ أَرانِي، فأُثْنِي عَلَيْهِ حامِداً وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً. الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يُهْتَكُ حِجابُهُ، وَلا يُغْلَقُ بابُهُ، وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ، وَلا يُخَيَّبُ آمِلُهُ. الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الخائِفِينَ، وَيُنَجِّي الصَّالِحِينَ، وَيَرْفَعُ المُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ المُسْتَكْبِرِينَ)

هذه الفقرات تأتي بعد الفقراتْ التي تستعرض شيئاً من عظمة الله سبحانه وتعالى وصفاته الحسنى، وتعطف على ذلك بما يرتبط بالإنسان فتبدأ: (الحمد لله على حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالحَمْدُ للهِ عَلى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَالحَمْدُ للهِ عَلى طُولِ أَناتِهِ فِي غَضَبِهِ)، هذا فعل الله مع بني الإنسان، فعل الله مع عباده بأنّه يعلم ويتجاوز مع علمه بتمرد هذا العبد ومع عصيانه، فيحلم عنا حتى كأنّه لا ذنب لنا، يحلم عنا مع أنّه قادرٌ على العقوبة و لا يمنعه أيّ مانع، ولا يقف أمام قدرته أيّ أنّه قادر ومع ذلك يحلم و يتجاوز، ويتغاضى فلهذا يتوجه الإنسان المؤمن إلى ربه بحَمده على مثل هذا التجاوزْ، ولو أراد الله أن يؤاخذ الإنسان بكل ما صنع لهلك و لتردى هذا الإنسان، لكن الله سبحانه وتعالى يحلم، ويتجاوز، و يعفو، و يغفر مع علمه بتفاصيل عمل الإنسان السيء، مع علمه بتفاصيل خطاياه، و يعلم وليس فقط بما تفعله الجوارح وإنمَا بحرَكات القلوبْ وذات الصُّدور.

حقدُ الإنسانْ يعلمه الله، حَسد الإنسانْ يَعلمه الله، نَواياه السيئة يَعلمها الله بينمَا لا يطّلع عليها منْ الخلائقْ إلا الباري سُبحانه وتعالى. و علمُ الله سُبحانه من جهَة ومع قدرته على المعاقبة منْ جهَة أخرى، ومع ذلك فإنّه يحلم و يعفو، والعفو مع العلم ومع القدرة على المُعاقبة هو أعلى أنواع العفو.

إن طَاقة الإنسانْ في التفكر لتعجزْ عنْ هذا المُستوى والمُرتقى و هو أنّ الله سبُحانه وتعالى ينظر إلى عباده فيجدْ بعضهم منهمكين في المعصية و منشغلين بها، و متكالبين عليها، ومُعرضينْ عن ذكره ومع ذلك إذا تابوا تاب الله عليهم، ومع ذلك إذا أنابوا سَتر عليهم فأيّ خالقٍ عظيم هو هذا الخالق، أيّ بارئٍ رَحيم هو هذا الخالقْ، أيُّ رؤوف ودود هذا الخالق.
(الحمد لله على حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالحَمْدُ للهِ عَلى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ) لقد ذُكرَ في حديث أنّ الله سُبحانه وتعالى عندما عرَضَ على نبي من أنبياءه العظام، على شيخ الأنبياء إبراهيم أن

يريّه ملكوتْ السماوات و الأرض، فأصبحَ نبي الله إبراهيم مما خوّله الله أنْ يكون مُطّلعاً على عوالم الملكوت، على الدنيا و ما بعدها وما خفيَ عنها، فإذا به يرى جانباً فيه اثنان على معصيّة، وعلى ذلك الجانب فيه رجل وامرأة على خطيئة، وفي ذلك الجانب أشخاص يعصون الله فتحرّكت غيرة النبي الدينية والإيمانية و أراد أن يدعو عليهم، فجاءه النداء بما معناه (خلّي بيني وبين عبادي) أيّ أنت لم تستطيع أن تنظر إلى عبدً يعصي الله في معصية واحدة، وهذا الخلق كله تحت نظر الله سبحانه وتعالى، وتحت رقابة الله سبحانه وتعالى وهو يراهم ويرى الكثير منهم على معاصيه ويعرف عنهم كل ما يفعلونه ولو تخفوا عن بني جنسهم، حتى إذا رجعوا و أدركتهم الفطرة، وحركهم العقل، وراحت عنهم سكرة معصيتهم وتاب بعضهم و أناب إلى الله تعالى فيعفو عنهم مع علمه بسيئاتهم، وترك عقوبتهم مع قدرته على معاقبتهم ولا يعترض عليه أحدٌ وهو موافقٌ لقانونه الذي جعله في أنّ العاصي يستحق العقوبة لكن الله سبحانه وتعالى هو الذي له طول الأناة أيّ طويل الأناة ولا يتعجّل و إنّما يعجل من يخاف الفوت. يمهل الله سبحانه هذا الإنسان لكن لا يغفله إلى الأخير، ولا يمهله إلى الأخير ولا يتراجع.

(وَالحَمْدُ للهِ عَلى طُولِ أَناتِهِ فِي غَضَبِهِ) مع أنّ الله سبحانه وتعالى يغضب عندما يرى الذي واصل عليه نعمه يعصيه ويتحدّاه، فيغضب لأنّه سبحانه جعلَ لكل شيءِ حداً وجعل لمن تعدى الحد حداً، فيغضب لحرماته ويغضب لحدوده، يغضب لأوامره التي تُعصى، ولنواهيه التي تُقتحَم، ولكنّه طويل الأناة و صبورٌ لعطفه ويعطي هذا الإنسان مجالاً واسعاً لي يتراجع ولا يُغلق عليه طريق العودة أبداً، إنّما على هذا الإنسان أنْ لا يتعدى الحليم و أنْ لا يذهب طويلاً عن الرجعة .

(الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادِلُهُ) أيّ من يستطيع أن يُعارض إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يُعاقب؟ فلو أراد الله أنْ ينتقم من يستطيع أنْ يُعارض الله تعالى، أو يناقشه. ففي القرآن الكريم مثلاً أنّه لو أراد الله أن يُهلك المسيح ابن مريم و أمه فمن ذا الذي يستطيع أنْ يقف أمام ربه سبحانه وتعالى .

(الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادِلُهُ، وَلا شَبِيهٌ يُشاكِلُهُ، وَلا ظَهِيرٌ يُعاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الأَعِزَّاءَ، وَتَواضَعَ لِعَظَمَتِهِ العُظَماءُ) العظيم الحقيقي هو الذي يعرف مقداره. العزيز الواعي هو الذي يعرف مقدار عزته و أنّها من عزة الله، فذلك الكبير، والعظيم، والغني يعرف أنّ عزته وعظمته وغناه هو منْ عند الله سبحانه وتعالى فيتواضع لعظمته، فإذا تواضع لعظمة الله رفعه.

(فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مايَشاءُ. الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ، وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وأَنا أَعْصِيهِ، وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلا أُجازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطانِي، وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفانِي، وَبَهْجَةٍ مونِقَةٍ قَدْ أَرانِي، فأُثْنِي عَلَيْهِ حامِداً وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً) نسأل الله

سبحانه وتعالى أن يتفضّل علينا بواسع نعمه، و أنْ يجعلنا فِي عبيده، و أنْ يوجهنا إلى مقدار عظمته و أن يكفينا ما أهمنا من أمر دنيانا و آخرتنا إنّه على كل شيءٍ قدير و بالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين أفضل الصلاة والتسليم.

15. سهولة اللجوء إلى الله القادر والمتعال

(تحرير الفاضلة: سلمى آل حمود)

بسْــمِاللَّهِالرَّحْمَنِالرَّحِيــمِ والصَلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين أبِيْ القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرينْ جاءت فِي دُعاء الافتتاح هذه الفقرات: (الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ، وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وأَنا أَعْصِيهِ، وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلا أُجازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطانِي، وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَة قَدْ كَفانِي، وَبَهْجَةٍ مونِقَةٍ قَدْ أَرانِي، فأُثْنِي عَلَيْهِ حامِداً وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً.الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يُهْتَكُ حِجابُهُ، وَلا يُغْلَقُ بابُهُ، وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ، وَلا يُخَيَّبُ آمِلُهُ. الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الخائِفِينَ، وَيُنَجِّي الصَّالِحِينَ، وَيَرْفَعُ المُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ المُسْتَكْبِرِينَ، وَيُهْلِكُ مُلُوكا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ .الحَمْدُ للهِ قاصِمِ الجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ، مُدْرِكِ الهارِبِينَ، نَكالِ الظَّالِمِينَ، صَرِيخِ المُسْتصرِخِينَ، مَوْضِع حاجاتِ الطَّالِبِينَ، مُعْتَمَدِ المُؤْمِنِينَ.) ،هذا هو ربنا سبحانه وتعالى.

يقترب هذا الدعاء الكريم من تعداد النعم التي أنعم الله بها على الإنسان بشكلٍ مباشر، فإذا كانت نعم الله على الإنسان متعددة وهي أيضاً تعود على الإنسان ويستطيع هذا الإنسان أن يسخرها لنفسه، فإن هناك من النعم م اهو مُباشر بالنسبة لك أنت، ولي أنا خطٌ واصلٌ مباشرٌ بين الله سبحانه وبينك أنت وبيني، فهذا ما يتحدّث عنه الدعاء (الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ). إننا نجد في هذه الدنيا، أنّه كثيراً من الرؤساء والملوك والعظماء، لا يستطيع الإنسان أن يُخاطبهم بشكلٍ مُباشر، ولا يصل إليهم، وإذا وصل إليهم لم يستجيبوا له بطريقةٍ مباشرة وإنما يضع هذا الرئيس وذاك الكبير حاجباً بينهم وبين الناس، وبعد الحجب حاجبٌ، و حاجب حاجبه مُحتجب، حتى إذا وصل هذا الإنسان بطريقةٍ من الطرق إلى هذا الطرف، فإنّ عليه أن ينتظر المجهول لكي يأتي أو لا يأتي جوابٌ، و إذا جاء الجواب فهل يأتي بالإيجاب أو بالسلب؟! هذا مع أنّ عظمة هذا الإنسان ومُلك هذا الإنسان، و كِبر هذا الإنسان ليس إلا شيئاً بسيطاً محدوداً من حيث الزمان والمكان والقدرات. لكن العظيم الذي لا عظيم كعظمته، ولا أحدٌ إلا هو دونه، هذا يعقد بينك وبينه صلة مباشرة فيقول لك: تعال إليّ، أسمعْني صوتك، بل لا حرك قلبك ولو لم يتحرك لسانك، اعقد الصلة المباشرة بين حركة قلبك وبين خضوع ذاتك، وبين تصورك لذنبك وارسل ذلك في لحظة واحدة في طرفة عين إلى ربك، تجد الله تعالى مستمعاً لك بالذات متلقياً ندائك بالذات (الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ)، حتى إذا وصل صوتك إلى الله، حتى إذا لأرسلت خفقات قلبك إلى ربك جاءك الجواب، ألم يعد الله وهو صادق الوعد في قوله "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ" قريب ليس من حيث المسافة، هو أقرب إليك من حبل الوريد، هو مُحيطٌ بك و أنت لا تخلو عنه و أنت لا تغيب عن نظره، فلا توجد مسافة أصلاً وإنما لكي يُقرب لنا المعنى القرآن الكريم، فيقول: " أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"، (الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنادِيهِ) فهذه نعمةٌ مباشرة.

إن من يكون في دائرةِ يتكبر على كثير من الناس ألا يُقابلهم بشكلِ مباشر، ولا يجيب على استفساراته بشكلِ مباشر وربُ الأرباب و إله الكل يقول لك: أنا استقبل كلامك في أي وقت كنت ليلاً كنت أو نهاراً، سراً كان أو علانيةً، مع اللفظ كان أو بدون لفظ، أنا استقبله و أجيبك أيضاً إجابةً مباشرة.

(وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وأَنا أَعْصِيهِ) تصور أخي المؤمن، تصوري أختي المؤمنة ، ولنتصور جميعاً لو أن بعض عوراتنا، بعض سيئاتنا، بعض خطايانا قد انكشفت للأقربين منا، فلو علمت أنت السامع بما أرتكبه أنا من ذنوب لأشحت بوجهك عني ولعاديتني و لاحتقرتني. و أنت أيضاً لو عرف أهلك ببعض ذنوبك، ببعض خطاياك، لما عاشرك الكثير ولما أقبل عليك الكثير ولكن نعمة الله التي أنعم بها على عباده (وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ) ليست العورة المعهودة و إنما المقصود هو النقائص والذنوب التي تعتبر عاراً و عورةً وعيبةً للإنسان ويسترها علينا مع أننا نعصيه. كان من الطبيعي لو أنّ الإنسان أطاع أن يُستر عليه لكن مع كونه يعصيه يستر عليه لكن فهذا تطوّل، وتفضّل، ومبالغةٌ في النعمة الإلهية فلك الحمد، ولك الحمد، ولك الحمد.

(وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلا أُجازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطانِي)، فهذه النعم وهذه المواهب والعطايا التي لا أستطيع حصرها ولا عدّ بعضها لكنّها تهنيء قلبي، وتجعل حياتي هانئةً طيبةً أرغب فيها، أرغب من خلالها في الاستمرار في هذه الحياة (فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطانِي) وحتى لا يضحك عليّ وعليك الشيطان ويقول لي لن تحصل على المنزلة الكبرى، لا بل أنا حصلت على عظيمٍ من المواهب، و أنت كذلك من المواهب الهنيئة التي أعطاني إياها.

(وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَة قَدْ كَفانِي) شدائد وبلايا تدخّل الله تعالى بشكلِ مباشر فأبعدها عني و أبعدني عنها و حرسني منها وحفظني من الارتطام بها (وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَة قَدْ كَفانِي، وَبَهْجَةٍ مونِقَةٍ قَدْ أَرانِي)غاية ما أصنع أنني أقول الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على كل نعمة، الحمد لله بجميع محامده كلها و أقول ذلك ومن طرف لساني، أقول ذلك من أعماق نفسي، أؤمن بذلك (فأُثْنِي عَلَيْهِ حامِداً وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً) مما تخاف؟؟ الجأ إلى ربك. تخاف من عدوك؟؟ تخاف من الظالم؟؟ تخاف من الأزمات؟؟ تخاف من الأحقاد؟؟ لا تضعف أمامها و ألجأ إلى ذلك الذي لا يهتك حجابه ، الذي إذا أماط بينك وبين تلك الشدائد و المشاكل و الأعداء، إذا أماط بينك وبينهم حجاباً جعل لك كفاية كقوله تعالى "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"

(الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا يُهْتَكُ حِجابُهُ) إذا لجأت إلى كهف الله وجعلت بينك وبين عدوك حجاب الله، واعتصمت بقلعة الله فإنّه لا أحد يستطيع أن يقتحم جانبك لأنّه عندئذٍ يحتاج إلى اقتحام جانب الله، وإلى هتك حجاب الله و لا يُهتك حجاب الله سبحانه وتعالى. في قضاياك أطلب من ربك (وَلا يُغْلَقُ بابُهُ) فإلى متى تسعى و يسعى ونسعى وراء زيدٍ وعبيدٍ مستجدين حوائجنا و طالبين حاجاتنا، مريقين ماء وجوهنا بين أيديهم. لنقصد إلى الله سبحانه وتعالى الذي لا يغلق بابٌ ولا تنفذ عنده خزائنٌ، ولا يرد سائلٌ، فإذا كان أهل الأموال و أهل القدرات مرةً يُعطون و عشرةً يمنعون، و إذا كانوا مرةً يُفيضون و أخرى يحجبون فاذهب واطلب من ذلك الذي لا يرد سائلٌ و لا يُخيب له آمل.

(وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ، وَلا يُخَيَّبُ آمِلُهُ. الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الخائِفِينَ، وَيُنَجِّي الصَّالِحِينَ)، تريد في هذه الدنيا، تريد الاطمئنان في هذه الدنيا، تريد النجاة والنجاح في هذه الدنيا، والفلاح الذي يؤمن؟ هو الله سبحانه وتعالى فهلم أنت و أنا وجميع الخلائق لكي نذهب إلى ذلك الذي لا يرد أحداً و يؤمن من يقصده وينجي من يعبده فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يتعطف علينا و أن و أن يتفضل علينا و أن ينجينا و أن يرزقنا الجنّة بفضله بمحمد و آل محمد الأطهار إنّه على كل شيءٍ قدير و بالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين أفضل الصلاة والتسليم.

16. السنن الكونية .. دليل القدرة الالـهية

(تحرير الفاضلة: أم سيد رضا)

جاء في دعاء الإفتتاح: (الحمد لله الذي يؤمن الخائفين وينجي الصالحين ويرفع المستضعفين ويضع المستكبرين ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والحمد لله قاصم الجبارين مبير الظالمين مدرك الهاربين نكال الظالمين صريخ المستصرخين موضع حاجات الطالبين معتمد المؤمنين، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها وترجف الأرض وعمارها وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

تتابع هذه الفقرات بيان مظاهر القدرة الإلهية من خلال عرض فعل الله في المجتمعات، ذلك الفعل القائم على أساس السنن وعلى أساس التدخل أيضاً، كما أن لله تعالى مظاهر عظمة في الكون والطبيعة فهو مسخر الرياح وفالق الإصباح وخالق الخلق وباسط الرزق، وكذلك فإن لله تعالى مظاهر قدرةٍ تتجلى في المجتمع من خلال إرساء الله لسنن كونية تجري المجتمعات على أساسها ومن هذه السنن: سنن التداول في السيطرة والحكم والملوكية، فإنه على أساس هذه السنة نجد أن التاريخ البشري يمر على مراحل متعددة ودول متعاقبة بينما تكون دولة على رأسها حاكم وتبقى لفترة من الزمان إلا أنها على أثر تخلي تلك الدولة عن سنن الثبات والإستقرار والإستمرار ومن أهمها العدالة الإجتماعية فإن هذه الدول لا تلبث أن تنتهي وأن هؤلاء الحكام لا يلبثون أن يندثروا.

الله سبحانه وتعالى بهذه السنن يصح أن يُنسب إليه بأنه يرفع المستضعفين إذا قاموا بمقدمات النصر، فإنهم إذا تملكوا الإيمان وقاموا بالعمل الصالح واستمروا على المنهج وصمدوا عليه وقبلوا بالتضحيات فإنهم بذلك طبقوا سنة الله في الإستخلاف ورفع الإستضعاف وفي الإنتصار فلا يلبثون أن يرتفعوا وينتصروا ويفوزون على أعدائهم، ولنا في تاريخ المسلمين خير عبرة فإن تلك الفئة المستضعفة التي كانت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مجردة من عوامل القوة الظاهرية فإنها لما امتلكت الوعي والعلم الذي جاء به القرآن الكريم وتسلحت به ثم أضافت إليه أيضاً العمل الصالح واتبعت قياداتها الدينية ممثلة في رسول الله صلى الله عليه وآله واستمرت على ذلك وجاهدت في سبيله فإنهم لم يلبثوا أن جاء نصر الله والفتح إليهم كما قال تعالى: (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً)، فلقد سيطروا ونُصِروا وهيمنوا واستطاعوا أن يقيموا دولة الإسلام عندما اتبعوا سنة الله في الإستخلاف والنصر.

الله سبحانه وتعالى كما يرفع المستضعفين فإنه يضع المستكبرين، لذلك لا يحسبن طاغية أو مستكبر أن الدنيا معقولة عليه وأن الأمور مبسوطة إليه، تماماً كما خاطبت عقيلة الطالبين زينب سلام الله عليها طاغية زمانها عندما قالت: أظننت يا يزيد حين رأيت الدنيا لك متسقة والأمور مستوسقة أن بك على الله كرامة وبنا عليه هوناً، كلا ليس الأمر كذلك فأنت في مسير تنتهي إلى الإنهيار وإلى الضعة لأن الظلم لا يبقى ولا يُبقِي وإن بقى بعد ذلك دمر الظالم، فيضع الله المستكبرين لأنهم خالفوا سنن التمكين وخالفوا سنة البقاء وتحدوا هذه السنة فما كان لهم إلا أن انهاروا وانتهوا، وفي التاريخ الحديث فلننظر كم مرّ على هذه الأمة من طغاة تجبروا وتفرعنوا وقتلوا وظلموا واستكبروا لكنهم لم يطل بهم الزمان حتى وُضِعوا وانهزموا.

(الحمد لله قاصم الجبارين مبير الظالمين)، أي يبيرهم وينهيهم وفي هذا تحذير من جهة للظالم والمستكبر سواءً كان على مستوى الأمة السياسي أو حتى على مستوى الأسرة والمجتمع، فإن من الظالمين من يكون ظالماً في أسرته ولمن تحت يده بينما كان مسؤولاً عنهم ولكنه تحول إلى ظالم مستبد ولذلك يوجد تحذير للظالم فيقصم الله الجبار سواء كان على مستوى الأمة أو على مستوى الأسرة وغير ذلك لأنه سار على خلاف السنة الإلهية.

(مدرك الهاربين نكال الظالمين صريخ المستصرخين)، هنا لا بد أن نشير إلى جهتين :

الجهة الأولى أن هذه السنن الإلهية في المجتمعات وهي تقتضي برفعة المستضعفين ونجاة الصالحين وفوز الصادقين مما يحفز الإنسان لأن يكون على هذه السنن، وهذه السنن أيضاً تقتضي في المقابل إلى أن الظالمين ينتهون والمستكبرين يندحرون.

إضافة إلى ذلك هناك جهة أخرى وهي أن لله فعلاً مباشراً في الكون وليس أنه وضع القوانين وسنّ السنن كما قالت اليهود (يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا)،فالأمر ليس هكذا فالكون لا يجري فقط على وفق برنامج معين وإنما الكون مع وجود هذه السنن إلا أنها لا تمنع الله من التدخل بشكل مباشر فإنه يثبت ما يشاء ويمحوا ما يشاء ويبدل ما يشاء ويطيل ويقصر ويعز وينصر ويرفع ويخفض، فليست يد الله مغلولة بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وحيث يشاء ومتى يشاء، فبالإضافة إلى هذه السنن فإن لله سبحانه وتعالى إرادة مباشرة متصرفة في الكون وليست يده مغلولة وهذا ما تشير إليه الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في أن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وأنه عنده أم الكتاب، وهذا ما يُعرف في الإصطلاح الكلامي بمسألة البداء بناءً على هذا التفسير.

الله سبحانه وتعالى موضع للحاجات وصريخ لمن استصرخ ومغيث لمن استغاث به وبيده أزّمة الكون، فالذي يعرف حقيقة الله فسيخاف الله وحده ولا يخاف أحداً غيره، ولذلك على المؤمن أن لا يخاف غير الله لأن الله بيده الأمن، وأن لا يخشى إلا الله لأن الله أحق أن يخشاه الناس فهو منجي الصادقين ومؤمن الخائفين يفعل ما يشاء، فالحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها وترجف الأرض وعمارها وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لعبادته بعد معرفته إنه على كل شيء قدير.

17. النبي وأهل البيت .. الصراط القويم للدين

(كتابة الفاضلة: معصومة الخضراوي/ تدقيق الفاضل: عبد العزيز العباد)

مما جاء في دعاء الافتتاح :

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحافِظِ سِرِّكَ وَمُبَلِّغِ رِسالاتِكَ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ وَأَزْكى وَأَنْمى وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ وَأَسْنى وَأَكْثَرَ ما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ عِبادِكَ وَأَنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ وَصَفْوَتِكَ وَأَهْلِ الكَرامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ)

هذه الفقرة فاتحة للبدء في الصلاة على النبي وآل النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أساسًا مسالة الصلاة على محمد وآل محمد هي من الأذكار التي تقترن بعبادة الإنسان، ويجب أن تنبعث من عقائده وهي من الأمور التي تسالم عليها جميع المسلمين إلا من شذّ منهم. ومنهم من شذّ في لزومها ووجوبها في الجملة .

فالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في التشهد في الصلاة المفروضة والمستحبة عند الإمامية مما يجب فعله وهي ايضًا كذلك عند كثيرًا من أهل السنة وجمهور المسلمين، ويعتمدون في ذلك على حديثٍ روي عنه أنه من لم يصلي عليّ وعلى أهل بيتي فلا صلاة له، وهي التي أخذها الإمام الشافعي وحولها في الشعر المنسوب إليه:

كفاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

لماذا أختص الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام بلزوم أن تكون علاقتها مع النبي وأهل البيت هي هذه العلاقة (علاقة الصلاة) ؟

لقد مرّ على هذه الأمة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله عشرات الألوف، ومن التابعين مئات الألوف، فلماذا خصص الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته بهذا الذكر؟

وكما هو معلوم أن الأمة تؤمن بجميع الأنبياء (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) . فلماذا الله تعالى مثلاً لم يوجب الصلاة على نبي الله ابراهيم وهو جد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

لماذا لم يوجب الصلاة على آدم وهو أول البشر و أبو البشر؟

لماذا لم يوجبها على نوح وعلى موسى وعلى عيسى؟

فقط وفقط أوجبها إن تكون الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته في طبقة الأنبياء.

كيفية الصلاة على النبي؟

ورد في تفسير الآية المباركة: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) أن المسلمين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسألوه: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ نصلي لله في جهة القبلة ونصلي على جنازة الميت وتلك معروفة لكن كيف نصلي عليك؟ !

فقال لهم: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) إلى آخر هذا الذكر الشريف، فصارت الصلاة على النبي وعلى أهل البيت بنص رسول الله من دون إضافات.

ربما يأتي المتأخرون ويقولون نحن نصلي على رسول الله وعلى آله وعلى أصحابه وعلى التابعين لهم وعلى من تبع هداهم إلى يوم الدين، هذا لا بأس به ولكنه غير وارد.

الوارد هو النبي وأهل البيت. فلو عممها الإنسان لا يكون ممنوعًا من ذلك، لكن الذي ورد بنص رسول الله صلى الله عليه وآله في مثل تفسير الآية المباركة وفي قوله لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء تصلوا عليّ وتتركون أهل بيتي، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.. لماذا؟

لماذا أمرت الأمة – كل الأمة - بالصلاة على النبي وآله؟

إننا نعتقد أن الله سبحانه وتعالى وبعده النبي صلى الله عليه وآله أرادوا أن يضعوا للأمة مقياس حين تضيع المسافات وتختلط إذا أدعى كلٌّ وصلاً بـ (ليلى)، إذا أدعى كلٌّ أنه يمثل الإسلام الحقيقي، أنه لديه ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وأختلط على الناس هذا المعنى فترى المنافق يقول أنا الإسلام وترى المعادي لرسول الله صلى الله عليه وآله ايضًا يقول انا الإسلام، وترى الذي يقتل علي بن أبي طالب عليه السلام ايضًا يقول انا الإسلام، هنا يأتي المقياس لكي يقول أين الاسلام؟

مَن الذي نصلي عليه؟ مَن الذي نذكره في صلاتنا؟ مَن الذين نتوجه إليه فَنُقرنه برسول الله (اللهم صل على محمد وآل محمد) نقرنهما معًا، لو جاء أحد وأضاف ما أضاف هنا تعود المسألة إلى الخلق، فلا يعود المقياس واضحًا تعود المسافات غير بينة.

وُضِع هذا الذكر وجُعل هذا الذكر وأُكِّد عليه بدءاً من أمر الله تعالى بالصلاة على النبي ومرورًا بتفسير النبي صلى الله عليه وآله لهذه الصلاة وكيفيتها وهي أنها ذكرٌ وليست أفعال، وطلبٌ من الله تعالى اعلاء مرتبة النبي وأهل بيته عليهم السلام ، وانها كما يصلي الإنسان على النبي يصلي ايضًا على آله وعلى أبنائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهم الذين يمثلون خطه ويسيرون كامتداد لنهجه حتى لقد قال قائلهم من الأئمة المعصومين: خذوا هذا من فم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالوا حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله.

أختص الله سبحانه وتعالى هذه الصفوة بهذه الميزة. لكي تكون علامة فارقة حين تختلط العلامات، ولكي تكون منارًا حين تعترك الظلمات، ولكي تكون علمًا يحدد المسيرة حين تتباعد المسافات.

إضافة إلى ذلك لكي يُوجد في الناس القبول النفسي لما يأمرون به ولما ينهون عنه ، أنت عندما تكون علاقتك مع عالم علاقة حسنة عندما تقدس ذلك العالم عندما تنسجم معه عندما تحبه عندما تصلي عليه عندما تثني عليه وتذكره بالخير يكون هذا أدعى لقبولك أوامره ونواهيه، بينما إذا لم تكن هذه العلاقة موجودة ربما تردد الإنسان في قبول تلك الأوامر لاسيما الصعبة منها.

يراد هنا من خلال تكريس الصلاة على النبي وآله النبي كذكرٍ بين المسلمين أن يوفر ذلك القبول عند المسلمين بأئمة المسلمين برسول الله وبأهل البيت، حتى لو أمروهم أأتمروا بأوامرهم ولو نهوهم انتهوا. عندما تصلي على النبي وتثني على أهل البيت وتعتقد أنك تحصل بذلك على الثواب العظيم كما ورد في الروايات أن (أثقل ما يوضع في الميزان الصلاة على محمد وآل محمد) نظرًا لما تحققه تلك الصلاة من شعور بالانتماء ومن إيجاد علامة ومعْلم من سلوك الطريق الحقيقي والصحيح.

أهمية الصلاة على النبي:

دور الصلاة على النبي وآل النبي ليس فقط امرًا لفظيًا وإنما هو إيجاد نماذج إظهار علائم للدين، فتبيين تلك المعالم والنماذج والقنوات مهم جدًا، وطريقه هو أن يكثر الإنسان من الصلاة على النبي، ليس معقولًا أن تكثر الصلاة على النبي وآل النبي ثم لا تتبع فقه أهل البيت وليس معقولًا أن تصلي على أهل البيت بعد نبيهم صلوات الله عليه وعليهم ثم تسلك في العقائد مسلكًا لا ينسجم مع مسلكهم، يراد تثبيت هذا المعنى حتى تكون مدرسة للأمة شاملة وحاوية على جميع ما تحتاجه. تتحقق هذه المدرسة بأشخاصها ورموزها وتتكرس في الأمة.

هذا ما تدعونا إليه فكرة الصلاة على محمد وآل محمد نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أوليائهم وأحبائهم وأتباعهم وأن يحشرنا معهم أنه على كل شيءٍ قدير وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

18. النبي (ص) صفات الرسول ونهج البلاغة

(تحرير الفاضلة: هديل الزبيدي)

جاء في دعاء الافتتاح في فقرة الصلاة على محمد وال محمد مايلي:

(اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وامينك وصفيك وحبيبك وخيرتك من خلقك وحافظ سرك ومبلغ رسالاتك افضل واحسن واجمل واكمل وازكى وانمى واطيب واطهر واسنى واكثر ما صليت وباركت وترحمت وتحننت وسلمت على احد من عبادك وأنبيائك ورسلك وصفوتك واهل الكرامة عليك من خلقك)

هذه الفقرة تبدأ بذكر الصلاة على النبي الاعظم والرسول الاكرم محمد صلى الله عليه واله وقد ذكرنا ان الصلاة هي شعار ذكرى الصلاة على النبي واله شعار ينفع الانسان في تعيين معالم دينه اذا ازدحمت عليه المصادر والمنابع كان محمد وال محمد المنبع الاصفى والمنهل الاعذب من خلال ذكر الصلاة على النبي واله يهيأ التشريع لنا نحن المسلمين ارضية في انفسنا لكي نقبل اوامرهم ونواهيهم فإن طبيعة الإنسان يقبل ممن يحبه ويتفاعل معه ويرتاح اليه اكثر مما يقبل من ما يرتبط معه بهذه العلاقة ، اضافة الى ذلك ذكر الصلاة على النبي محمد وال محمد هو عنوان ومصداق من مصاديق المودة { قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى } هو نوع شكر للنبي صلى الله عليه وآله ولاهل بيته علي مابذل وبذلوا وضحى وضحوا حتى اوصلوا لنا الدين الالهي كاملا غير منقوص لكي ننال بهذا الدين سعادتنا من الدنيا وفلاحنا في الاخرة ، ان اقل موقف ينبغي ان يتخذه الإنسان هو كثرة ذكر محمد صلى الله عليه وآله وكثرة ذكر اهل بيته جميعا بالثناء والمدح والحمد والشكر لهم لانهم كم عانوا وكم قاسوا حتى وصل الينا هذا الهدي الرباني وهم وان لم يسألوا اجرا الا ان موقف الانسان الطبيعي الموقف الاخلاقي للانسان يقتضي ان يقول شكرا لرسول الله شكرا لاهل البيت على جميع ماقدموا ، هذا الشكر صيغة هذه الصياغة { اللهم صل على محمد وال محمد } لان هذه الصياغة طلب من الله تعالى ان يرفع درجة النبي واله وان يعلي مقامهم وان يزيد في درجاتهم لان رحمة الله والدرجت عنده اللامتناهية فكلما دعوت برفع منزلة النبي واله زاد اولئك درجة وارتفعوا سموا وهذا الدعاء لهم اضافة الى مايحققه من فوائد اخرى كثيرة لنا يحقق لهذه الصفوة ايضا رفعة ومنزلة وعلوا ، فيبدأ الدعاء بالصلاة على سيدهم سيد اهل البيت وكبيرهم وحبيب الله صلى الله عليه واله وهو النبي محمد صلى الله عليه واله الذي بلغ من المنزلة ما لم يبلغه ولن يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، كيف وقد قرن الله ذكره بذكره والشهادة له بالشهادة لنبيه بالرسالة كيف لا ورسول الله قد اقسم الله به في القران الكريم:

(لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) كيف لا ولم يناديه باسمه في القران وانما بصفته المجللة والمعززة والمكرمة { يا ايها النبي } { يايها الرسول } بدا الدعاء لكي يبين بعض جوانب رسول الله صلى الله عليه واله وصفاته فيقول:

اللهم صل على محمد ماحلى هذا الاسم من هو ؟ عبدك اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، فان مرتبة العبودية الكاملة التي كان قد حققها رسول الله في نفسه هي سابقة على مرتبة النبوة ، بل هي اشرف منها لان هذه المنزلة هي التي جعلت نبي الله نبي الله (اشهد ان محمدا عبده ورسوله) لما علم الله من محمد تلك النفس العابدة الى افضل الدرجات اختاره نبيا بل اختاره سيد الانبياء وخاتم المرسلين ، وبالفعل فما وجدت نفس ولن توجد نفس اعبد لله سبحانه من رسول الله هو يقول { انا العبد اي عبد اعبد مني } يقول لتلك المرأة التي رأته ياكل على الحضيض على التراب وياكل بيديه قالت له يا محمد انك لتجلس جلسة العبد وتاكل اكلة العبد فقال اي عبد اعبد مني ، انا عبد الله حقيقة ، لايوجد عبد اعبد لله واكثر خضوعا لله مني ، هذه النفس العالية في الشرف لكنها هي النفس الباخعة الى ادنى درجات البخوع والخضوع بين يدي الله سبحانه وتعالى ، هل رأيتم فاتحا منتصرا دانت له الجزيرة العربية بكاملها وخضعت له قريش بكبريائها فاذا به يدخل مكة فاتحا لكنه العبد لله سبحانه وتعالى فيحنى رأسه خاضعا لله شاكرا لنعمة الله ويزيد خضوعا ويزيد انحناءا حتى تلامس جبهته ذلك السرج الذي كان على ظهر دابته اشهد ان محمد عبده ورسوله ، لقد عرضت عليه خزائن الارض ، جاء اليه جبرئيل يامحمد ان الله يقول لك هذه خزائن الأرض بين يديك هذه بطحاء مكة لو شئت لصارت ذهبا أحمر بين يديك خذها ولا ينقص من اجرك ولا من ثوابك عند الله شيء ، خذها يا رسول الله فطأطأ برأسه الى الارض ، اي نفس هذه ؟ اي قلب هذا ؟ اي سعة هذه ؟ لدى رسول الله اي خضوع اي عبودية طأطأ رأسه الى الارض وقال يا جبرائيل احب أن أكون نبيا عبدا أجوع يوما فاسأل الله وأشبع يوما فاشكر الله هل رأيتم ايها الاحبة بشرا كهذا البشر شخصا كهذا الشخص إنسانا كهذا الإنسان عبدا كهذا العبد نبيا كهذا النبي عظيما كهذا العظيم لا والله ما وجد في تاريخ البشر ولن يوجد في تاريخ البشر شخصية كهذه الشخصية وعظيم كهذا العظيم وعبد كهذا العبد هذه العبودية هي التي جعلته في مقام الرسالة العظمى

{ ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا } بعد ان علم من هذا النبي هذا المستوى من الخضوع صار رسولا واي رسول صار نبيا واي نبي اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وامينك وصفيك ، حمل هذه الامانة بكفاءة نادرة وقام بها خير قيام اشهد انه قد بلغ عن الله ماحمل وحفظ ما استودع ورعى ماسترع ، اشهد ان محمدا عبده ورسوله وأمينه وصفيك وامينك وصفيك وحبيبك ان يصل شخص الى مرتبة حبيب الله يأنس بالله بل الله يحبه ولولا اني اخشى لقلت الله يأنس به حبيب الله سبحانه وتعالى وحبيبك وخيرتك من خلقك وحافظ سرك ومبلغ رسالاتك ، جاءه النداء { ياأيها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس } فبلغ الرسالة بحذافيرها الى حد لقد خشي عليه حبيبه ربه من ان يصل الى درجة العنت ودرجة التعب في تبليغ الرسالة وأن يبالغ في ذلك { طه ما انزلنا عليك القران لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى } {يا رسول الله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا } بلغ رسالاتك اللهم صل عليه افضل واحسن واكمل واجمل وازكى وانمى واطيب واطهر ماصليت على احد من عبادك وانبيائك ورسلك وصفوتك واهل الكرامة عليك من خلقك وبلغه منا تحية وسلاما واكرمنا بصحبته ورؤيته وشفاعته انك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد واله الطاهرين.

19. أهل البيت جزء لا يتجزأ من الرسالة

(تحرير الفاضل: حسين مالك العراق)

جاء في دعاء الافتتاح في ذكر الصلاة على المعصومين عليهم السلام بعد رسول الله ما يلي:

اللهم وصل على علي امير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين عبدك ووليك واخي رسولك وحجتك على خلقك وآيتك الكبرى والنبأ العظيم وصل على الصديقة الطاهرة فاطمة سيدة نساء العالمين وصل على سبطي الرحمة وامامي الهدى الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة وصل على أئمة المسلمين علي ابن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر ابن محمد وموسى ابن جعفر وعلي اين موسى ومحمد ابن علي وعلي ابن محمد والحسن ابن علي والخلف الهادي المهدي حججك على عبادك وامنائك في بلادك صلاة كثيرة دائمة.

هذه الفقرة تستكمل الصلاة على اهل البيت المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم في البداية لابد ان نشير الى ان اهل البيت مصطلح يشتمل بالدرجة الاولى على الخمسة المعروفين بأصحاب الكساء والذين تحدث عنهم رسول الله صلى الله عليه واله في أكثر من مورد وقال اللهم هؤلاء هم اهل بيتي وهم بالإضافة الى رسول الله صلى الله عليه واله ،علي امير المؤمنين صلوات الله عليه وفاطمة الزهراء والحسن والحسين فلقد ورد في احاديث كثيرة ان النبي صلى الله عليه واله قد غطاهم بكساء يماني وعندها نزلت الاية المباركة >إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُ <وقال اللهم هؤلاء هم اهل بيتي فكان اهل البيت عليهم السلام بهذا النص ويلحق بهم ايضا الائمة المعصومون عليهم السلام بنص هؤلاء الائمة وبنص هؤلاء المعصومين بل بنصي رسول الله صلى الله عليه واله الذي نقل عنه المسلمون سواء منهم علماء الجمهور او علماء الشيعة من ان الامر في قريش وان منهم اثني عشر نقيبا بعددي نقباء بني اسرائيل وان هناك اثني عشر خليفه كلهم من قريش وهكذا في اكثر من مورد أشار النبي صلى الله عليه واله الى العدد ثم تولى هو سلام الله عليه تفسير بعضه وتولى المعصومون ك علي وفاطمة والحسن والحسين تولوا تفسير الباقي ولقد افردت في هذا المجال مجلدات متعددة ذكر فيها مؤلفوها أسانيد هذه الروايات بحيث لا تبقي معتذرا لمعتذر وتكفي للإنسان المنصف الباحث تبدأ هذه الصلاة بالصلاة على علي أمير المؤمنين وهذا اللقب في اصطلاحنا خاص بأمير المؤمنين عليه السلام فلا يسمى مثلا الامام الحسين بأمير المؤمنين ولا يسمى الامام زين العابدين بأمير المؤمنين ولا الامام الصادق الذي وردت عنه رواية تخصص هذا اللقب بأمير المؤمنين وان كان الباقون ايضا هم امراء وأئمة للمسلمين جميعا فضلا عن المؤمنين كما يتحدث ، اللهم وصل على أئمة المسلمين، الا ان هذا اللقب لجهات متعددة جعل مختصا بالإمام علي سلام الله عليه في ثقافتنا الدينية الشيعية ، اللهم وصل على علي امير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين ، لا يمكن مع تأكيد الاسلام على قضية الوصية في ابسط الامور ان يترك هذه الامة الرسول من دون ان يوصي بها احدا ومن دون ان يوصيها

باتباع احد لذلك كان ان اوصى رسول الله صلى الله عليه واله مرارا وتكرارا وبألسنة مختلفة وبأساليب متعددة مشيرا تارتا ومصرحا اخرى في ضمن العترة مرتا وبالتخصيص على شخصه اخرى أشار الى علي عليه السلام انه هو الوصي وهو الخليفة وهو الراعي بعد رسول الله تارتا ببيان افضليته على جميع من عداه فقال افضلكم علي اعلمكم علي افقهكم علي هو باب مدينة علم رسول الله ومرة اخرى في ضمن العترة اوصيكم او اني مخلف فيكم الثقلين ، في رواية اخرى ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي من بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، ولقد افرد المؤلفون والمصنفون في هذا المجال كتبا كثيرة ومجلدات متعددة لمن اراد ان يرجع اليها ، ف الامام علي وصي رسول رب العالمين يأتي بعده بلا فاصلة عبدك ايضا يحقق هذا المعنى من العبودية لقد اكثر من السجود لله على التراب حتى صار ابا تراب لكثرة ما مرغ رأسه وجبينه في التراب تخضعا لله وتعبداً لله فهو بعد رسول اعبد المسلمين والمؤمنين ، وصل على علي امير المؤمنين ووصي رسول رب الله عبدك ووليك ،(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون)

ارجعوا الى التفاسير على مختلف الفرق والمذاهب ستجدون ان المنصف منها يذكران هذه الاية قد نزلت في قضية معينة خاصة بأمير المؤمنين علي فأثبتت له الولاية على جميع المسلمين انما وليكم الله بعد الله وبعد الرسول اثبتت له الولاية العظمى والكبرى واكد هذا المعنى رسول الله في يوم الغدير الست اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلا قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ، واخي رسولك وحجتك على عبادك ، علي وابنائه الكرام حجج الله على الخلق حجج الله في مواقفهم في نصر الدين كيف ضحوا من اجل الرسالة من اجل اعلاء كلمة الله فصاروا حجة على من عداهم ، هم حجة ايضا يحتج بقولهم ويحتج بهم على من عداهم لانهم اعلم من كان على ظهرها ولذلك صاروا أئمة للخلق أئمة للمسلمين ، وآيتك الكبرى والنبأ العظيم ،

وصل على الصديقة الطاهرة فاطمة سيدة نساء العالمين هذه المرأة الكاملة المرأة المعصومة المرأة التي لا تنطق الا من معدن الوحي ومعدن الرسالة وقولها كقول زوجها وابنائها حجة شرعية تامة وفعلها كذلك لأنها جزأ رسول الله صلى الله عليه واله وفلذة منه وبضعة منه وبعض من رسول الله صلى الله عليه واله فكانت هي الحجة لقد رويي عنهم نحن حجج الله على الخلائق وامنا الزهراء حجة علينا ولعل ذلك راجع الى عظم التضحية التي قامت بها فاطمة الزهراء عليها السلام في سبيل حفظ الامامة والدفاع عن امتداد النبوه وفقدت في ذلك الطريق اعز ما يملكه ويملكه امرأة فقدت جنينها ثم فقدت حياتها صلوات الله وسلامه عليها وصل على سبطي الرحمة وامامي الهدى الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة وصل على ائمة المسلمين من أبناء الحسين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين.

20. معرفة الائمة (ع) سراج على درب الهداية

(تحرير الفاضلة: أفراح البراهيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
جاء في دعاء الافتتاح في ذكر الصلاة على أهل البيت بعد أمير المؤمنين عليه السلام فيقول (وَصَلِّ عَلى سِبْطَيِ الرَّحْمَةِ وَإِمامَيِ الهُدى الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَصَلِّ عَلى أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمُوسى بْنِ جَعْفَرٍ وَعَلِيِّ بْنِ مُوسى وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَالحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَالخَلَفِ الهادِي المَهْدِي، حُجَجِكَ عَلى عِبادِكَ وَأُمَنائِكَ فِي بِلادِكِ، صَلاةً كَثِيرَةً دائِمَة)

يستمرّ الدعاء في الجانب العقائدي بهدف تعريف الإنسان بقادته و حججه وهذا ما قدّمنا له سابقًا من أنّ الدعاء يتكفّل بتوضيح الجوانب التربوية التي تريد تحقيق العبودية للإنسان ، إلى جانب تحقيق الأهداف العقائدية الدينية حيث يتعرّض في هذه الفقرة إلى الحديث عن الأئمة عليهم السلام ، لكي يكرّس في الإنسان معرفتهم بأسمائهم ، ولكي يؤكد على حضورهم في عقيدة الإنسان فيقول : اللّهم صلّ على سبطي الرحمة الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وهنا ليؤكد أنّ أهل الجنة كلهم شبابًا ولا يوجد بينهم كهولًا أو عجزة ، ومعنى أنّ الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة إلا من استثني كرسول الله وأمير المؤمنين ، وإلا فباقي أهل الجنة الذين هم من الشباب لهم سيّدان وزعيمان متقدّمان عليهم وهما الحسن والحسين ، و ليسا إمامان للشيعة فحسب بل لجميع المسلمين ، ومقتضى الإمامة الاتباع والمتابعة ، فلو صلّى أحدهم خلف إمام صلاة جماعة ثم تخلّف عن متابعته بأن تقدّم عليه أو تأخّر عنه تأخرًا فاحشًا فذلك ممّا يخلّ بصلاته ويجعلها غير صحيحة ، كذلك إن اتّخذ الإنسان الحسن والحسين عليهما السلام إمامان فيجب اتباعهما والالتزام بما يأمران والانتهاء عمّا ينهيان.

الاعتقاد بالحسن والحسين إمامان يعني متابعتهما في جانب العقائد والفقه والثقافة ، و هكذا الحال بالنسبة لسائر الأئمة الذين قال عنهم (وصلّ على أئمة المسلمين) فهم ليسوا أئمة للشيعة فحسب بل لعامة المسلمين ، فهم اثنا عشر نقيبًا كنقباء بني إسرائيل متقدّمون على من عداهم ، ومن عداهم تبعٌ لهم.

ثم من بعد الحسن والحسين الإمام السجاد زين العابدين وسيد الساجدين ، هذا الإمام الذي شهد جانبًا من خلافة جده أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم عاش مع أبيه الحسين عليه السلام وشهد معركة كربلاء والظلامة التي بدرت من الأمويين ، فأثارت آلام الإمام وحزنه و تدفّق دعاؤه لإيقاظ الضمير الديني لدى الأمة التي اتجهت باتجاه الفساد الأخلاقي والانحراف السلوكي التي أشاعها الأمويون من زمان يزيد ومروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان.

(وصلّ على محمد بن علي الباقر) باقر علوم الأولين والآخرين ووراث علم النبيين والذي بشّر به النبي في ذلك الحديث المعروف مع جابر بن عبدالله الأنصاري ، هذا الإمام الذي عاش في زمن تجرّد حكامه من العلم والثقافة ، وكانت التحديات الثقافية تغزو فكر الأمة من كل جانب ، فتصدّى لهذه التحديات بنشر العلم والثقافة ، وشاركه في ذلك ابنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي قال عنه أحدهم أنه لم يشهد أحدًا بمثل فضل جعفر بن محمد علمًا وعملاً ، وقال عنه أبو حنيفة أنّ أعلم الناس باختلاف الناس هو جعفر بن محمد ، حيث واصل مسيرة أبيه الباقر عليه السلام في نشر العلم بأصوله العقائدية و فروعه الفقهية وفنون المعرفة والثقافة ، و تتلمذ على يده أكثر من أربعة آلاف طالب في شتى فنون المعرفة الدينية والدنيوية ، ومنهم جابر بن حيان الكوفي الذي برز في علم الطب ، وزرارة بن أعين الشيباني الذي نبغ في علوم الفقه.

(وصلّ على موسى بن جعفر) الإمام الكاظم عليه السلام الذي وقف راية صامدة وموقفًا صلبًا أمام هارون العباسي الذي ملك الدنيا لكنه لم يملك العدالة والإنصاف ، و قد توسّعت الدولة في عهده بجهد المسلمين لا بجهده وبجهد العباسيين ، الذين أظهروا من الإساءة والاضطهاد للأمة عمومًا ولأهل البيت خصوصًا ، فكان الإمام عليه السلام ضحية ذلك الاضطهاد والعنف العباسي حيث سجن مدة طويلة من الزمن ، بل وقاموا باغتياله في السجن وهو صابر محتسب محافظ على شريعة جده.

(وصلّ على علي بن موسى) علي بن موسى الرضا الذي عاصر ضعف الدولة العباسية والخلاف القائم بين الأمين والمأمون ، وعلى أثره جيء بالإمام إلى بلاط الحكم كولي للعهد ، ومع أنّه لم يقبل في بداية الأمر إلا أنّه استغل هذا المنصب في نشر علوم آبائه وما يدلّ على ذلك العدد الضخم من الروايات حيث كانت النهضة الثقافية الثالثة في عهده بعد أن كانت الثانية في عهده جده الباقر والصادق ، والأولى في عهد جده أمير المؤمنين عليهم السلام ، فكانت النهضة الثالثة على يده.

(وصلّ على محمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي) الذين واصلوا جهود آبائهم بمقدار ما توفّر لهم من مساحة للحرية ، لأنهم كانوا يعلمون أنّ المشكلة الأساسية للأمة هي افتقاد العلم والثقافة والوعي ، ومتى ما توفّر الوعي و العلم سارت الأمة سيرًا سليمًا ، ومتى ما انحسر عنها رداء العلم تخبّطت في سيرها ، لذا عمل الأئمة على توفير العلم ونشره ، إلى أن وصل الأمر إلى صاحب العصر والزمان عجّل الله فرجه الشريف ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أنصاره وأعوانه إنّه على كل شيء قدير ، وصلّ اللّهم على محمد و آله الطيبين الطاهرين.

21. الإمام الحجة الغائب حتمية قائمة

(تحرير الفاضلة: أفراح البراهيم)

جاء في دعاء الافتتاح في تتمة الصلاة على محمد وآل محمد
(اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلى وَلِيِّ امرِكَ القائِم المُؤَمَل، والعَدلِ المُمنتظَر، وحُفّهُ بملائكَتِك المُقَربين، وأيّدهُ بِرُوح القدُسِ يا ربَ ٱلعالمينَ. اَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الداعِيَ إلى كتابِك، والقائمِ بدينِك، اِسْتَخْلفهُ في الارض كما استَخْلَفْتَ الذينَ مِن قَبله، مَكِّن له دينه الذي ارتضْيتَه له، اَبْدِلهُ من بَعدِ خوفه اَمناً، يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بكَ شيئاً.

اللّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعْزِزْ بِهِ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزِيزاً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً. اللّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتَّى لا يَسْتَخْفِي بِشَيْءٍ مِنَ الحَقِّ مَخافَةَ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ)

هذه الفقرة من الصلوات تذكر الإمام الثاني عشر والمعصوم الرابع عشر من أئمة أهل البيت وهو الإمام محمد بن الحسن العسكري الحجة المهدي عجّل الله فرجه الشريف وجعلنا الله وإياكم من أعوانه.

في البداية لا بدّ أن نشير إلى أنّ الاعتقاد بفكرة المخلّص للدنيا من شرورها وفسادها هي فكرة لامست وجود الإنسان بغض النظر عن ديانته ، فالإنسان عندما يفكر ويتأمّل أنّه هل يمكن أن يستمر تيار الفساد ودرب الرذيلة و طغيان المستكبرين إلى ما لا نهاية أو إلى أن تقوم الساعة ؟، هل من الممكن أن يكون الله الذي خلق الخلق لعبادته وللربح عليه ولعمارة هذه الأرض وملئها بذكر الله و خلافة الله ، هل من الممكن أن تستمر المجازر فيها والمذابح والطغيان والمآسي إلى ما لا نهاية ؟ ، أم أنّ هناك مخطط سماوي يقضى بأنّ البقاء للأصلح وأنّ العاقبة للتقوى وللمتقين ، وأنّ هذا التاريخ يسير إلى نهاية اللقاء بالأمل المنتظر و بالعدل المرتقب المدّخر ، وبالإمام الذي يملأ القسط والعدل ويشيع الهداية والنهج الإلهي ، ولو تأملّ أحدهم بغض النظر عمّا في جاء في الديانات أنّ بقاء البشرية واستمرارها على هذا النهج من الفساد هو ضرب من الخيال و العبث ، بينما إذا كان الصلاح والعدل سيكون في نهاية الأمر فهذا من الحكمة والعدل.

الديانات جاءت لتؤكّد على هذه الفكرة وهي فكرة وجود ولي من أولياء الله مؤيد بنصر الله لكي يغير ما على الأرض بحيث يسود العدل وينتشر النهج الإلهي الذي أراده الله للبشرية.
وفي ديننا الإسلامي تجاوزت الروايات التي رويت عن قضية الإمام المنتظر وظهوره في آخر الزمان أكثر من أربعمائة ألف حديث على اختلاف ألسنتها و مؤدياتها ، كلها تشير إلى أنّ هذه الأرض سوف تلتقي بالنهج الإلهي الصحيح كما بدأت بالرسالة الخاتمة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان منقذ البشرية الأول من انحطاطها وكفرها وفسادها ،

فإنها على موعد أيضًا مع رجل من أهل بيت رسول الله يواطئ اسمه اسمه ، و يساويه في صفاته فهو من نسله وعلى نهجه وأصله رسول الله وهو الإمام المهدي ، حيث ادّخر هذا الإمام من نسل المنقذ الأول لكي يعيد إنقاذ البشرية بعدما ضلّت طريقها وانحرفت عن الصراط المستقيم.

(اللّهم صلّ على ولي أمرك القائم المؤمّل) من أولى صفاته القيام والنهضة والحركة والثورة ، وليس إمامًا يقعد ويُغلب ، بل هو مدّخر لكي يغيّر هذه الأرض ، فلا بدّ أن يقوم بثورة عالمية شاملة على قوى الفساد ، ونحن نعتقد أنّ أكثر الناس سوف يبادرون بالترحيب بالإمام المهدي بعد أن بلغت أرواحهم التراق و تجاوزت مآسيهم حدّ التحمل ، فهم ينتظرون مخلّصًا وينتظرون طريقًا ومخرجًا من هذه الأزمات ، فإذا جاء هذا الإمام وتعرّفوا عليه ، حيث سيستخدم في ذلك الوقت آخر ما وصلت إليه علوم التكنولوجيا التي لم يصل لها الإنسان الحديث للتعريف بنفسه وبنهضته للبشرية ، التي ستجد في هذا الرجل منفذًا ونورا ومخرجا وفرجا وبالتالي ستنساق لأمره لا محالة.

ثم قال (المؤمّل) أي علّق عليه الأمل ، ليس فقط من قبل شيعته وأتباعه ، بل من قبل الأمة الإسلامية جمعاء فهي تبحث عن أمل ، والبشرية كلها تبحث عن فضاء يخرجها من ظلماتها وعن منقذ ينقذها من طغيانها وحكامها ومستكبريها ، فإذا عرفت هذا المنقذ وهذا الأمل توجّهت إليه.

هو منتظِر أيضًا ، والانتظار عملية فعلية قصدية ، وقد ورد عن رسول الله أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج ، فهو عمل من أفضل الأعمال وليس موقفًا سلبيًا حياديًا بل هو افتعال واصطناع وترقّب وعمل ، ولكنه واع في ذلك ، هناك منتظِرٌ وهو هذا الإنسان ، وهناك منتظَرٌ وهو الإمام ، وهناك قضية مشتركة بين الإنسان وإمامه وهي قضية التغيير والإصلاح ، قضية النهضة العالمية وإصلاح العالم وتخليصه من الفساد.

(العدل المنتظر) هو عدالة منتظرة و إنصاف منتظَر ، اليوم يبحث الناس عن العدالة الاجتماعية وعن الإنصاف ، و يبحثون عن الحرية السياسية التي هي ناشئة من العدل ، ولقد جرّب البشر كثيرًا من المناهج والطرق فما زادتهم إلا خيبةً على خيبة وخسرانًا بعد خسران ، وهاهم ينتظرون العدل المنتظر الحقيقي ، و ليس هو العادل فحسب بل هو تجسيد للعدل الإلهي.

(اللّهم اجعله الدّاعي إلى كتابك وحفّه بملائكتك المقربين ، وأيّده بروح القدس يا ربّ العالمين)

للإمام جانبان : جانب بشري عادي يتعامل به على أساس السنن الاجتماعية ، وهناك جانب غيبي بمعنى أنّه مؤيد بالملائكة ، ومؤيّد بروح القدس الذي هو أعظم الملائكة والذي كان يؤيّد الملائكة والمرسلين ، والذي ادّخر أيضًا لتأييد من تمتدّ به دعوات الأنبياء وهو الإمام الحجة عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه وجعلنا من أعوانه وأنصاره إنّه على كل شيء قدير.

22. النجاة بين محور الذات ومحور الغير

(تحرير الفاضلة: أفراح البراهيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

جاء في دعاء الافتتاح في إكمال الدعاء للإمام المنتظر (اللّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلى كِتابِكَ، وَالقائِمَ بِدِينِكَ، اسْتَخْلِفْهُ فِي الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكِّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْناً، يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً. اللّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعْزِزْ بِهِ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزِيزاً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً. اللّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتَّى لا يَسْتَخْفِي بِشَيْءٍ مِنَ الحَقِّ مَخافَةَ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ.)

هذه الفقرة تتكفّل بالدعاء للإمام المهدي من قبل الإنسان المنتظر المؤمن ، والدعاء للغير مهما كان ذلك الغير ، والطلب في حق الآخرين من الله سبحانه وتعالى كالوالدين أو غيرهما من المؤمنين هي قيمة أخلاقية عالية تخرج الإنسان من محور الذات إلى محور الغير ، ومن طلب الخير للذات فقط إلى فضاء أرحب وأوسع وهو طلب الخير للغير ، مما ينمّي لدى الإنسان حالة الإيثار وحب الآخرين ، ولقد أمرنا في الروايات أن نشارك إخواننا المؤمنين بالدعاء لهم وطلب الخير لهم ، ولكنّ الدعاء للإمام والقائد يحمل معنى أكثر من ذلك ، إذ أنه علامة انتماء وإعلان للموقف ، حيث يعلن المؤمن أنه في تمام الانسجام مع الإمام المنتظر ويستحضره في حياته من خلال الدعاء له والحديث عنه ، فهو أحد أهداف الإنسان المؤمن وحاجاته من الدعاء ، فإذا كان لكل إنسان حاجات أخروية كالجنة والمغفرة ، أو حاجات دنيوية كالرزق والنجاح والحصول على الأولاد ، فإن الإنسان المنتظر والمؤمن بصاحب العصر رأس حاجاته هو الدعاء بالفرج والنصر للإمام ، وهذا الأمر من جملة ما ينبغي للإنسان المؤمن في زمان الغيبة ، وفي زمن الغيبة ينبغي للمؤمن أن يكون على خط الإمامة وخط الانتظار ، و ممّا ينبغي له أن يقوم بالدعاء للإمام عليه السلام، ويستحضر الإمام في خلواته مع الله ، ويستشعر بوجوده في حياته و في كل حالاته ، فإذا رأى المظالم و المؤامرات الاستكبارية تذكّر وتمنّى دولة العدل الإلهي المنتظرة ، وإذا ارتاح إلى نموذج من نماذج الجهاد والعلم والفضيلة تذكّر الإمام صاحب العصر والزمان ،

فإذا كان بعض البشر العاديين يحملون كلّ هذا الزخم من العطاء والفضيلة والعلم ومن الإيمان وهم بشر عاديون مأمومون فكيف سيكون الإمام المتصل بالله سبحانه وتعالى؟؟

يدعو الإنسان المؤمن للإمام (اللّهم اجعله الداعي إلى كتابك والقائم بدينك استخلفه في الأرض كما استخلفت الذين من قبله مكّن له دينك الذي ارتضيته لك) وهذا الدعاء للإمام هو مصداق للوعد الإلهي الحق الذي ورد في الآية المباركة (وعد الله الذين أمنوا والذين عملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض وليمكّنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا) ، و هذا وعد إلهي صادق لا يتخلّف.

(أبدله من بعده خوفه أمنًا يعبدك وحدك لا شريك لك)

هل يمكن أن يكون الإمام الذي يواجه العالم كله بأمر الله إمام خائف ؟، هل يمكن أن يكون هذا الإمام المعدّ لهذه الثورة الشاملة يتخفّى هنا وهناك هربًا ؟ ، كلّا لا يمكن تصوّر ذلك فهو بخلاف الحكمة الإلهية وبخلاف الوقائع التاريخية ، ومن حيث هو على خلاف الحكمة الإلهية أنك إن أرسلت شخصًا خائفًا لموقف يتطلّب فيه الشجاعة فإنّك تحسب عندئذ غير حكيم ، فكيف يرسل الله سبحانه رسولًا خائفًا أو يعيّن إمامًا خائفًا ؟ ، بالطبع لا يمكن ذلك ، قال تعالى بشأن موسى عليه السلام (إني لا يخاف لديّ المرسلون) عندما قال عنه (فأوجس في نفسه خيفة موسى) ، حيث أنّ طبيعة المسؤولية التي يعيّن فيها الرسول ويجعل فيها الإمام من قبل الله تعالى لا يمكن أن تقترن بالخوف على الذات.

فماذا يعني (أبدله من بعد خوفه أمنًا) ؟؟

يعني ذلك ماورد في القرآن الكريم بشأن موسى كما أسلفنا (فأوجس في نفسه خيفة موسى) ولكن لم يخف موسى على نفسه كما يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة (لم يوجس موسى خيفة على نفسه أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال)، كان خوفه خوفا رساليًا وعلى رسالته وعلى الناس ، كان خائفًا من انتصار المستكبرين الضالين ، وهذا الخوف موجود لدى الأنبياء والرسل ولدى الأوصياء ، بل هو ما يشير إلى عمق الإيمان بالله وشدة الحرص على رسالة الله ، حيث يخاف النبي والامام على الرسالة ، و يخاف من غلبة دولة الكفر على دولة الإيمان ويحتاط له بقدر ما يستطيع ويبذل كلّ جهده لكي لا يحدث هذا .

الإمام الحجة عليه السلام معدٌ لمواجهة أعتى القوى الاستكبارية فهل يعقل أن يكون خائفًا جبانًا؟ ، بالطبع لا فهو كآبائه الطاهرين لم تخالجهم لحظة خوف ولم تلمهم في الله لومة لائم ، و إنما خوفهم على الرسالة وعلى العباد ، وخوفهم من انتصار الخط المنحرف.

(اللهم أعزّه واعزز به)

هنا طلبٌ من الله أن يعزّ وليّه فإن العزة من الله و لله ولرسوله وللمؤمنين ، و من اعتزّ بغير الله فقد ذل ، لذلك من يتصوّر أن عزّته في مكان أخر فهو واهم ، الدعاء هنا للإمام بأن يعزّ به الدين و يعزّ به المؤمنين المستضعفين ، وينصره لينتصر به الدين وتنصر به الرسالة الإلهية ، ولينصر به العباد المؤمنين.

والنصر له جانبان : جانب غيبي ، وجانب موضوعي خارجي يحتاج إلى آليات وأدوات ، فليكن صاحب العصر والزمان وجنده وسيلة لنصر الدين الإلهي وانتشاره.

(وانصره نصرًا عزيزًا وافتح له فتحًا يسيرًا واجعل له من لدنك سلطانًا نصيرًا ، اللهم أظهر به دينك)

هذا الدين الذي يعيش حالات مدٍ وجزر على أثر تولّي المستكبرين والمنافقين ، وعلى أثر تولّي الخاطئين لمقاليد الأمة ، هنا في هذه الفقرة يطلب من الله ظهور الدين حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعجّل فرجه وأن ينصره نصرًا عزيزًا وأن يجعلنا من الفائزين الغانمين ، إنّه على كل شيء قدير وصلّ اللهم على محمد و آله الطاهرين .

23. الدولة الكريمة .. الحق المنشود والإمام المنتظر

(تحرير الفاضلة: أفراح البراهيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

جاء في دعاء الافتتاح في آخر فقرة (اللّهُمَّ إنا نَرْغَبُ إلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِها الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِها النِّفاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنا فِيها مِنَ الدُّعاةِ إلى طاعَتِكَ، وَالقادَةِ إلى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.
اللّهُمَّ ما عَرَّفْتَنا مِنَ الحَقِّ فَحَمِّلْناهُ، وَما قَصُرْنا عَنْهُ فَبَلِّغْناهُ، اللّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعْثَنا، وَأَشْعَبْ بِهِ صَدْعَنا، وَأَرْتِقْ بِهِ فَتْقَنا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنا، وَأَعْزِزْ بِهِ ذِلَّتَنا، وَأَغْنِ بِهِ عائِلَنا، وَأَقْضِ بِهِ عَنْ مُغْرَمِنا، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنا، وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنا، وَفُكَّ بِهِ أَسْرَنا، وَانْجِحْ بِهِ طَلَبَتَنا، وَأَنْجِزْ بِهِ مَواعِيدَنا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنا، وَاعْطِنا بِهِ سُؤْلَنا، وَبَلِّغْنا بِهِ مِنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ آمالَنا، وَاعْطِنا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا، يا خَيْرَ المَسْؤُولِينَ وَأَوْسَعَ المُعْطِينَ، اشْفِ بِهِ صُدُورَنا، وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنا، وَاهْدِنا بِهِ لِما اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَانْصُرْنا بِهِ عَلى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنا، إِلهَ الحَقِّ آمِينَ.
اللّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَقِلَّةَ عَدَدِنا، وَشِدَّةَ الفِتَنِ بِنا، وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَيْنا، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنّا عَلى ذلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَبِضُرٍ تَكْشِفُهُ، وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ، وَسُلْطانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تُجَلِّلُناها، وَعافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُناها، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) .

بالرغم من أنّ هذه الفقرة تحتوي على عددٍ كبير من المعاني التي ترتبط بالدولة الكريمة التي هي أمل المؤمنين وأمل المستضعفين ، و ما تحتويه من معاني في دور الحق الذي يطلبه الإنسان ، وكيف أنّ الحق إذا صار في الأمة تم الرجوع إليه ، وكيف يؤثّر في جميع مناحي الأمة سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي ، إلا أنّنا لن نسترسل لهذه المفردات لضيق الوقت بل سنشير لها إشارة عابرة.

الدعاء في هذه الفقرة يرفع من طموح الإنسان فهو يطلب دولة بمقاييس معينة ، فلا تكون حاجاته في حدود نفسه أو أسرته أو قضاياه الخاصة ، إنّما يطلب من الله تلك الدولة التي يعمّ خيرها على جميع الناس ، فهي دولة كريمة ليست ذليلة أو مرهونة للأجنبي ، هذه الدولة تعزّ الإسلام وتعزّ أهله وتذلّ النفاق وتذلّ أهله ، ولعل المتأمل يلاحظ التركيز هنا على النفاق باعتباره أهم الأخطار الداخلية التي تواجه الأمة ، إذ أنّ خطوط النفاق خطوط مائلة ترفع الإسلام كرايةٍ وتطعنه كحقيقة ، والدولة الكريم سوف تذلّ هذه الخطوط.

الدولة الكريمة أهلها هم من يصنعونها والمساهمة فيها فلا يكفي أن يدعو فقط أن يصنع الله الدولة ، وإنما يهئ نفسه لأن يكون واحدًا من العاملين فيها ، وليس عاملًا عاديًا بل من الدعاة والمؤسّسين في وقت تراخى فيه الآخرون وتقاعسوا عن ذلك ، بل من القادة إلى سبيل الله.

(اللّهُمَّ ما عَرَّفْتَنا مِنَ الحَقِّ فَحَمِّلْناهُ، وَما قَصُرْنا عَنْهُ فَبَلِّغْناهُ)
كيف ينبغي أن يكون موقفنا تجاه الحق؟

ينبغي أن يكون من خلال خطوتين:
1/ أن نطلب من الله معرفة الحق لأنّ معرفته شيء مهم جدًا فهي تشكّل خريطة المسير ، البعض يتوهّم أنّه على الحق وإذا بهم في نهاية المطاف يجدون أنهم لم يعرفوا إلا السراب الباطل ، والبعض يعتقد أنّه يعمل لله فإذا بهم يعلمون للشيطان ، ومعرفة الحق تحتاج إلى جهد كبير لأنها الخريطة للمسير ، وهي تحتاج لتوفيقٍ من الله ودعاء من قبل العبد ، فالإنسان المؤمن دائمًا يطلب الوصول للحق ومعرفته ، وبعد الوصول إليه يتحمّل مسؤوليته.

2/ العمل بالحق وتحمل المسؤولية بعد معرفته ، لأنّ المعرفة النظرية غير كافية بل ينبغي التطبيق عمليًا على أرض الواقع.

(اللّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعْثَنا، وَأَشْعَبْ بِهِ صَدْعَنا، وَأَرْتِقْ بِهِ فَتْقَنا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنا، وَأَعْزِزْ بِهِ ذِلَّتَنا، وَأَغْنِ بِهِ عائِلَنا، وَأَقْضِ بِهِ عَنْ مُغْرَمِنا، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنا، وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنا، وَفُكَّ بِهِ أَسْرَنا)

يدعو إلى لمّ الشمل والتصدّع والتفرّق وإيصال بعضه ببعض بواسطة الحق ، أو بواسطة الإمام الحجة الذي هو قائد أهل الحق ، فلعل الضمير في قوله (الممّ به) يعود على الحق أو يعود على الاسم المتقدم وهو الإمام ولا اختلاف بينهما ، وإن كان الحق هو أقرب من الناحية اللغوية إلا أنّ الأمرين يمتزجان فالإمام هو الحق وهو قائد الحق.

(وكثّر به قلّتنا)
مع الحق ودولة الحق نرى أنّ أهل الحق جماعة كما يقول الرسول صلى الله عليه و آله وإن قلّوا (جماعة أمتي أهل الحق و إن قلّوا) ، والكثرة في الأمة هم جماعة الحق وإن كثر ما عداهم.

النقائص الاجتماعية والأمراض والعسر والفقر يختفي عندما يسودها الحق ، وما فقر الدول و شقاؤها إلا بسبب غياب الحق وعدم تحكيمه ، و (ما جاع فقير إلا بما متّع به غني ، وما رأيت نعمة موفورة إلا و إلى جانبها حقّ مضيّع) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام ، أما إذا ساد الحق وطبّق وجاءت دولة الحق وقائدها آنئذٍ لا مجال لهذه الأمراض والنقائص الاجتماعية.

(وَانْجِحْ بِهِ طَلَبَتِنَا، وَأَنْجِزْ بِهِ مَواعِيدَنا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنا، وَاعْطِنا بِهِ سُؤْلَنا، وَبَلِّغْنا بِهِ مِنَ الدُّنْيا وَالآخِرةِ آمالَنا، وَاعْطِنا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا، يا خَيْرَ المَسْؤُولِينَ وَأَوْسَعَ المُعْطِينَ، اشْفِ بِهِ صُدُورَنا، وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنا)

يظهر أنّ هذه إشارات أوضح لدور الإمام فنحن نتوسّل برسول الله صلى الله عليه لأنّ نسبة النصر المباشر هي بسبب الله ، ولكن هناك واسطة لاستجابة هذا الدعاء ، مثلما أنّ السنن الكونية تكون واسطة ، كذلك النبي والإمام المعصوم وسائط من الله تعالى ، نحن نبتغي إليه الوسيلة وهم رسول الله وأهل بيته.

نحن نسألك يا رب لأنّك خير مسؤول وأوسع معط وأكرم معط ولا نقصد سواك ولا نطلب من أحد غيرك.

(وَاهْدِنا بِهِ لِما اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَانْصُرْنا بِهِ عَلى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنا، إِلهَ الحَقِّ آمِينَ) نطلب الهداية بالإمام والقائد لما اختلف من الحق ، (ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم)

عند الاختلاف والاشتباه يحتاج المؤمن لقائد رباني يفصل في الأمر ، لذلك قال رسول الله عن أمير المؤمنين (عليٌ مع الحق والحق مع علي)
(واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، أنّك تهدي من تشاء)

نسأل اله سبحانه أن يتفضّل علينا بعتق رقابنا من النار لنا و لوالدينا وأولادنا وأرحامنا ، وأن يجعلنا من المنتظرين لقائد الحق المنتظر.

(اللهم أرنا الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة واكحل أنظارنا بنظرة منا إليه وعجّل فرجه وسهّل مخرجه)